كتاب العلم وفضله وما يتعلق به

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩] وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] قال ابن عباس رضي الله عنهما : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام ، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وفي « الصحيحين » من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلان : أحدهما : عابد ، والآخر : عالم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله وملائكته ، وأهل السموات والأرض ، حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وفي حديث آخر : « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر » .

وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب » رواه الامام أحمد ، وابن ماجه .

قال الخطابي : في معنى وضعها أجنحتها ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه بسط الأجنحة .

الثاني : أنه بمعنى التواضع تعظيماً لطالب العلم .

الثالث : أن المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً الى الجنة » رواه مسلم .

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام ، كان بينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة »[1] ، وفيه أخبار كثيرة .

وكان بعض الحكماء يقول : ليت شعري ، أي شيء أدرك من فاته العلم ، وأي شيء فات من أدرك العلم .

ومن فضائل التعليم ما أخرجاه في « الصحيحين » عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي رضي الله عنه : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم » .

وقال ابن عباس : « إن الذي يعلم الناس الخير تستغفر له كل دابة حتى الحوت في البحر » . وروي نحو ذلك في حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فان قيل : ما وجه استغفار الحوت للمعلم ؟

فالجواب : أن نفع العلم يعم كل شيء حتى الحوت ، فإن العلماء عرفوا بالعلم ما يحل ويحرم ، وأوصوا بالإحسان إلى كل شيء حتى إلى المذبوح[2] والحوت ، فألهم الله تعالى الكل الاستغفار لهم جزاءاً لحسن صنيعهم .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب[3] أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى ، انما هي

---

(١) حديث ضعيف رواه الدارمي ١/ ١٠٠ عن الحسن مرسلاً ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه ، وفيه محمد بن الجعد وهو متروك .

(٢) في الهامش : كما في حديث « إن الله كتب الاحسان على كل شيء » .

(٣) جمع أجدب وهي الارض التي لا تنبت .

قيعان[1] لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » أخرجاه في « الصحيحين » .

فانظر رحمك الله إلى هذا الحديث ما أوقعه على الخلق ، فإن الفقهاء أولي الفهم ، كمثل البقاع التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ ، لأنهم علموا وفهموا ، وفرّعوا وعلّموا . وغاية الناقلين من المحدثين الذين لم يرزقوا الفقه والفهم ، أنهم كمثل الأجادب التي حفظت الماء فانتفع بما عندهم ، وأما الذين سمعوا ولم يتعلموا ولم يحفظوا ، فهم العوام الجهلة .

وقال الحسن رحمه الله : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم .

وقال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه : تعلموا العلم ، فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس في الوحدة ، والصاحب في الخلوة .

وقال كعب رحمه الله : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أن تعلم يا موسى الخير وعلمه للناس ، فإني منور لمعلم الخير ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا بمكانهم .

فصل [طلب العلم فريضة]

قد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه أحمد في « العلل »[2] .

قال المصنف رحمه الله تعالى : اختلف الناس في ذلك .

فقال الفقهاء : هو علم الفقه ، إذ به يعرف الحلال والحرام .

وقال المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة ، إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها .

---

(١) جمع قاع وهي الارض المستوية .

(٢) وابن ماجه في « سننه » رقم (٢٢٤) وهو حديث حسن بطرقه كما قال الحافظ المزي .

وقالت الصوفية : هو علم الإخلاص وآفات النفوس .

وقال المتكلمون : هو علم الكلام . إلى غير ذلك من الأقوال التي ليس فيها قول مرضي ، والصحيح أنه علم معاملة العبد لربه .

والمعاملة التي كلفها على ثلاثة أقسام :

اعتقاد ، وفعل ، وترك .

فاذا بلغ الصبي ، فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناها وإن لم يحصل ذلك بالنظر والدليل ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكتفى من أجلاف العرب بالتصديق من غير تعلم دليل ، فذلك فرض الوقت ، ثم يجب عليه النظر والاستدلال .

فاذا جاء وقت الصلاة وجب عليه تعلم الطهارة والصلاة ، فاذا عاش إلى رمضان وجب عليه تعلم الصوم ، فان كان له مال وحال عليه الحول وجب عليه تعلم الزكاة ، وان جاء وقت الحج وهو مستطيع وجب عليه تعلم المناسك .

وأما التروك : فهو بحسب ما يتجدد من الأحوال ، إذ لا يجب على الأعمى تعلم ما يحرم النظر إليه ، ولا على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ، فان كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر ولبس الحرير ، وجب عليه أن يعرف تحريم ذلك .

وأما الاعتقادات : فيجب علمها بحسب الخواطر ، فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة ، وجب عليه تعلم ما يصل به إلى إزالة الشك . وإن كان في بلد قد كثرت فيه البدع ، وجب عليه أن يتلقن الحق ، كما لو كان تاجراً في بلد شاع فيه الربا ، وجب عليه أن يتعلم الحذر منه .

وينبغي أن يتعلم الإيمان بالبعث والجنة والنار .

فبان بما ذكرنا أن المراد بطلب العلم الذي هو فرض عين : ما يتعين وجوبه على الشخص .

فأما فرض الكفاية : فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا ، كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان على الصحة ، والحساب ، فانه ضروري في قسمة المواريث والوصايا وغيرها .

فهذه العلوم لو خلا البلد عمن يقوم بها حَرِجَ أهل البلد ، واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الباقين .

ولا يتعجب من قولنا : إن الطب والحساب من فروض الكفاية، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفاية ، كالفلاحة والحياكة ، بل الحجامة فانه لو خلا البلد عن حجام لأسرع الهلاك إليهم ، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله .

وأما التعميق في دقائق الحساب ، ودقائق الطب وغير ذلك ، فهذا يعد فضلة ، لأنه يستغنى عنه[1] .

وقد يكون بعض العلوم مباحاً ، كالعلم بالأشعار التي لا سخفَ فيها ، وتواريخ الأخبار .

وقد يكون بعضها مذموماً ، كعلم السحر ، والطلسمات ، والتلبيسات .

فأما العلوم الشرعية فكلها محمودة ، وتنقسم إلى أصول ، وفروع ، ومقدمات ومتممات .

فالأصول : كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة .

والفروع : ما فهم من هذه الأصول من معان تنبهت لها العقول حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره ، كما فهم من قوله : « لا يقضي القاضي وهو غضبان » أنه لا يقضي جائعاً .

والمقدمات : هي التي تجري مجرى الآلات ، كعلم النحو واللغة ، فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

والمتممات : كعلم القراءات ، ومخارج الحروف ، وكالعلم بأسماء رجال الحديث وعدالتهم وأحوالهم ، فهذه هي العلوم الشرعية ، وكلها محمودة .

---

(١) بل هو من الفروض الكفائية التي يجب على المسلمين أن يتقنوها ، ولا تقوى شوكة المسلمين ، ولا تقوم لهم قائمة إلا بالاسلام والعلم ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

فصل [في علم المعاملة]

فأما علم المعاملة وهو علم أحوال القلب ، كالخوف ، والرجاء ، والرضى ، والصدق ، والاخلاص وغير ذلك ، فهذا العلم ارتفعَ به كبار العلماء ، وبتحقيقه اشتهرت لأذكارهم ، كسفيان [الثوري] ، وأبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد .

وانما انحطت رتبة المسمين بالفقهاء والعلماء عن تلك المقامات ، لتشاغلهم بصور العلم من غير أخذ على النفس أن تبلغ إلى حقائقه وتعمل بخفاياه .

وأنت تجد الفقيه يتكلم في الظهار ، واللعان ، والسبق ، والرمي ، ويفرع التفريعات التي تمضي الدهور فيها ولا يحتاج الى مسألة منها ، ولا يتكلم في الاخلاص ، ولا يحذر من الرياء ، وهذا عليه فرض عين ، لان في إهماله هلاكه ، والأول فرض كفاية . ولو أنه سئل عن علة ترك المناقشة للنفس في الإخلاص والرياء لم يكن له جواب . ولو سئل عن علة تشاغله بمسائل اللعان والرمي ، لقال : هذا فرض كفاية ، ولقد صدق ، ولكن خفي عليه أن الحساب فرض كفاية أيضاً ، فهلا تشاغل به ، وإنما تبهرج عليه النفس ، لأن مقصودها من الرياء والسمعة يحصل بالمناظرة ، لا بالحساب .

واعلم : أنه قد بدلت ألفاظ وحرفت ، ونقلت الى معان لم يردها السلف الصالح .

فمن ذلك : الفقه ، فانهم تصرفوا فيه بالتخصيص ، فخصوه بمعرفة الفروع وعللها ، ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول منطلقاً على علم طريق الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ، ومفسدات الأعمال ، وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا ، وشدة التطلع الى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب .

ولذلك قال الحسن [البصري] رحمه الله : إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه ، الورع الكاف عن أعراض المسلمين ، العفيف عن أموالهم ، الناصح لهم .

فكان إطلاقهم اسم الفقه على علم الآخرة أكثر ، لأنه لم يكن متناولا للفتاوى ، ولكن كان متناولا لذلك بطريق العموم والشمول ، فثار من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد لعلم الفتاوى الظاهرة ، والاعراض عن علم المعاملة للآخرة .

اللفظ الثاني : العلم . فقد كان ذلك يطلق على العلم بالله تعالى وبآياته ، أي نعمه وأفعاله في عباده ، فخصوه وسموا به في الغالب المناظر في مسائل الفقه وإن كان جاهلا بالتفسير والأخبار .

اللفظ الثالث : التوحيد . وقد كان ذلك إشارة الى أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط ، فيثمر ذلك التوكل والرضى وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام في الأصول ، وذلك من المنكرات عند السلف .

اللفظ الرابع : التذكير والذكر . قال الله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الذاريات : ٥٥] .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر » فنقلوا ذلك الى القصص وما يحتوي عليه اليوم مجلس القاص من الشطح والطامات .

ومن تشاغل في وعظه بذكر قصص الأولين ، فليعلم أن اكثر ما يحكى في ذلك لا يثبت ، كما ينقلون أن يوسف عليه السلام حل تكته ، وأنه رأى يعقوب عاضا على يده ، وأن داود جهز أوريا حتى قتل ، فمثل هذا يضر سماعه .

وأما الشطح والطامات : فمن أشد ما يؤذي العوام ، لأنها تشتمل على ذكر المحبة والوصال وألم الفراق ، وعامة الحاضرين أجلاف ، بواطنهم محشوة بالشهوات وحب الصور ، فلا يحرك ذلك من قلوبهم إلا ما هو مستكن في نفوسهم ، فيشتعل فيها نار الشهوة ، فيصيحون ، وكل ذلك فساد .

وربما احتوى الشطح على الدعاوى العريضة في محبة الله تعالى ، وفي هذا ضرر عظيم . وقد ترك جماعة من الفلاحين فلاحتهم ، وأظهروا مثل هذه الدعاوى .

اللفظ الخامس : الحكمة . والحكمة : العلم والعمل به .

قال ابن قتيبة رحمه الله : لا يكون الرجل حكيما حتى يجمع العلم والعمل . وقد صار هذا الاسم يطلق في هذا الزمان على الطبيب والمنجم .

فصل [في العلوم المحمودة]

واعلم أن العلوم المحمودة تنقسم الى قسمين :

الأول : محمود إلى أقصى غاياته ، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل . وهو العلم بالله تعالى ، وبصفاته ، وأفعاله ، وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا ، فان هذا علم مطلوب لذاته ، والتوصل به إلى سعادة الآخرة ، وهو البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم المحومون على سواحله وأطرافه بقدر ما تيسَّر لهم .

القسم الثاني : العلوم التي لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص ، وهي التي ذكرناها من فروض الكفايات ، فان في كل منها افتقاراً واقتصاراً واستقصاءاً .

فكن أحد رجلين : إما مشغولا بنفسك ، وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك .

وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك ، واشتغل باصلاح باطنك وتطهيره من الصفات الذميمة ، كالحرص ، والحسد ، والرياء ، والعجب ، قبل اصلاح ظاهرك ، وسيأتي ذلك انْ شاء الله تعالى في ربع المهلكات .

فان لم تتفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات ، فان في الخلق كثيراً يقومون بذلك ، فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه ، ومثله مثل من دخلت العقارب تحت ثيابه وهو يذب الذباب عن غيره .

فان تفرغت من نفسك وتطهيرها ، وما أبعد ذلك ، فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدرج في ذلك .

فابتدأ بكتاب الله عز وجل ، ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم بعلوم القرآن : من التفسير ، ومن ناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، إلى غير ذلك .

وكذلك في السنة ، ثم اشتغل بالفروع ، وأصول الفقه وهكذا بقيه العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت .

ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلباً للاستقصاء ، فان العلم كثير ، والعمر قصير ، وهذه العلوم آلات يراد بها غيرها ، وكل شيء يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب .

فصل [في عالم لم ينفعه علمه]

واعلم : أن المناظرة الموضوعة لقصد المغالبة والمباهاة منبع الأخلاق المذمومة ، ولا يسلم صاحبها من كبر ، لاحتقار المقصرين عنه ، وعجب بنفسه لارتفاعه على كثير من نظرائه ، ولا يسلم من الرياء ، لأن جمهور مقصود المناظر اليوم علم الناس بغلبته ، وإطلاق ألسنتهم بشكره ومدحه ، فهو يذهب عمره في العلوم التي تعين على المناظرة مما لا ينفع في الآخرة ، كحسن اللفظ ، وحفظ النوادر .

وقد روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه »[1] .

باب في آداب المعلم والمتعلم
وآفات العلم وبيان علماء السوء وعلماء الآخرة

أما المتعلم فينبغي له تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الصفات . إذ العلم عبادة القلب .

وينبغي له قطع العلائق الشاغلة ، فان الفكرة متى توزعت قصرت عن إدراك الحقائق .

وقد كان السلف يؤثرون العلم على كل شيء ، فروي عن الامام أحمد رحمه الله انه لم يتزوج إلا بعد الأربعين .

وأهديت إلى أبي بكر الأنباري جارية ، فلما دخلت عليه تفكر في استخراج مسألة فعزبت عنه ، فقال : أخرجوها الى النخاس ، فقالت : هل من ذنب ؟ قال : لا ، إلا أن قلبي اشتغل بك ، وما قدر مثلك أن يمنعني علمي .

وعلى المتعلم أن يلقي زمامه الى المعلم القاء المريض زمامه الى الطبيب ، فيتواضع له ، ويبالغ في خدمته .

وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يأخذ بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنه ويقول : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء .

(١) رواه الطبراني في « الاوسط » وابن عدي في « الكامل » والبيهقي في « شعب الايمان » وهو ضعيف جداً

ومتى تكبر المتعلم أن يسميد من غير موصوف بالتقدم فهو جاهل ، لأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها ، وليدع رأيه لرأي معلمه فان خطأ المعلم أنفع للمتعلم من صواب نفسه .

قال علي رضي الله عنه : ان من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة ، وتخصه بالتحية ، وأن تجلس أمامه ، ولا تشير عنده بيدك ، ولا تغمزن بعينك ، ولا تكثر عليه السؤال ، ولا تعينه في الجواب ، ولا تلح عليه اذا كسل ، ولا تراجعه اذا امتنع ، ولا تأخذ بثوبه اذا نهض ، ولا تفشي له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا تطلبن عثرته ، وان زل قبلت معذرته ، ولا تقولن له : سمعت فلاناً يقول كذا ، ولا ان فلاناً يقول خلافك . ولا تصغن عنده عالماً ، ولا تعرض من طول صحبته ، ولا ترفع نفسك عن خدمته ، واذا عرضت له حاجة سبقت القوم اليها ، فانما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء .

وينبغي أن يحترز الخائض في العلم في مبدإ الأمر من الاصغاء الى اختلاف الناس ، فان ذلك يحير عقله ويفتر ذهنه .

وينبغي له أن يأخذ من كل شيء أحسنه . لأن العمر لا يتسع لجميع العلوم ، ثم يصرف جمام قوته الى أشرف العلوم ، وهو العلم المتعلق بالآخرة ، الذي به يكتسب اليقين الذي حصله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حتى شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، ولكن بشيٍ وقر في صدره »[1] فهذه وظائف المتعلم .

وأما المعلم فعليه وظائف أيضاً :

من ذلك الشفقة على المتعلمين ، وأن يجريهم مجرى بنيه ، ولا يطلب على افاضة العلم أجراً ، ولا يقصد به جزاءاً ولا شكراً ، بل يعلم لوجه الله تعالى ، ولا يرى لنفسه منة على المتعلمين ، بل يرى الفضل لهم اذ هيؤوا قلوبهم للتقرب الى الله تعالى بزراعة العلم فيها ، فهم كالذي يعير الارض لمن يزرع فيها .

---

(١) خبر موضوع أورده ابن القيم رحمه الله في « المنار المنيف » ص ١١٥ تحت قوله : ومما وضعه جهلة المنتسبين الى السنة في فضائل الصديق رضي الله عنه . وقال : وهذا من كلام أبي بكر بن عياش ، ونقله عنه ملا علي القاري في « الاسرار المرفوعة » ص ٤٧٦ وأقره . وجاء في « المقاصد الحسنة » للسخاوي وغيره من كتب الموضوعات انه من قول بكر بن عبدالله المزني .

فلا ينبغي أن يطلب المعلم الأجر الا من الله تعالى . وقد كان السلف يمتنعون من قبول هدية المتعلم .

ومنها أن لا يدخر من نصح المتعلم شيئاً ، وأن يزجره عن سوء الأخلاق بطريق التعريض مهما أمكن ، لا على وجه التوبيخ ، فان التوبيخ يهتك حجاب الهيبة .

ومنها : أن ينظر في فهم المتعلم ومقدار عقله ، فلا يلقي اليه مالا يدركه فهمه ولا يحيط به عقله .

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم »[1] .

وقال علي رضي الله عنه : إن ههنا علماً لو أصبت له حملته .

وقال الشافعي رحمه الله :

أأنثر درأ بين سارحة النعم ... أأنظم منثوراً لراعية الغنم
ومن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ومنها : أن يكون المعلم عاملاً بعلمه . ولا يكذب قوله فعله . قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُم وَأَنتُم تَتْلُونَ الكِتَابَ ﴾ [البقرة : ٤٤]

وقال علي رضي الله عنه : قصم ظهري رجلان : عالم متهتك ، وجاهل متنسك .

فصل في آفات العلم وبيان علماء السوء وعلماء الآخرة

علماء السوء : هم الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا ، والتوصل الى المنزلة عند أهلها .

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه الا ليصيب به عرضاً من

---

(١) لم يثبت شيء من هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد روى البخاري في « صحيحه » ١/ ١٩٩ تعليقاً في العلم : باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا قول علي رضي الله عنه : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ، قال الحافظ : وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة ، ومثله قول عبد الله بن مسعود فيما رواه الإمام مسلم في « صحيحه » ١/ ٧٦ بشرح النووي : ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة .

الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » يعني ريحها .

وفي حديث آخر أنه قال : « من تعلم العلم ليباهي به العلماء ، أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس اليه ، فهو في النار » رواه الترمذي . وفي ذلك أحاديث كثيرة .

وقال بعض السلف : أشد الناس ندامة عند الموت عالم مفرط .

واعلم : أن المأخوذ على العالم أن يقوم بالأوامر والنواهي ، وليس عليه أن يكون زاهداً ولا معرضاً عن المباحات ، إلا أنه ينبغي له أن يتقلل من الدنيا مهما استطاع ، لأنه ليس كل جسم يقبل التعلل ، فان الناس يتفاوتون .

وروي أن سفيان الثوري رحمه الله كان حسن المطعم . وكان يقول : إن الدابة إذا لم يحسن إليها في العلف لم تعمل .

وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يصبر من خشونة العيش على أمر عظيم . والطباع تتفاوت .

ومن صفات علماء الآخرة أن يعلموا أن الدنيا حقيرة ، وأن الآخرة شريفة . وأنهما كالضرتين ، فهم يؤثرون الآخرة ، ولا تخالف أفعالهم أقوالهم ، ويكون ميلهم إلى العلم النافع في الآخرة ، ويجتنبون العلوم التي يقل نفعها إيثاراً لما يعظم نفعه ، كما روي عن شقيق البلخي رحمه الله أنه قال لحاتم : قد صحبتني مدة ، فماذا تعلمت ؟ قال : ثمانية مسائل :

أما الأولى : فاني نظرت إلى الخلق ، فاذا كل شخص له محبوب ، فاذا وصل إلى القبر فارقه محبوبه ، فجعلت محبوبي حسناتي لتكون في القبر معي .

وأما الثانية : فاني نظرت إلى قول الله تعالى : ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠] فأجهدتها في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى .

وأما الثالثة : فاني رأيت كل من معه شيء له قيمة عنده يحفظه ، ثم نظرت في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦] فكلما وقع معي شيء له قيمة ، وجهته إليه ليبقى لي عنده .

وأما الرابعة : فاني رأيت الناس يرجعون الى المال والحسب والشرف ، وليست

بشيء ، فنظرت في قول الله تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم﴾ [الحجرات : ١٣] فعملت في التقوى لأكون عنده كريما .

وأما الخامسة : فاني رأيت الناس يتحاسدون ، فنظرت في قوله تعالى : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُم﴾ [الزخرف : ٣٢] فتركت الحسد .

والسادسة : رأيتهم يتعادون ، فنظرت في قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُم عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ [فاطر : ٦] فتركت عداوتهم واتخذت الشيطان وحده عدواً .

والسابعة : رأيتهم يذلون أنفسهم في طلب الرزق ، فنظرت في قوله تعالى : ﴿وَمَا من دَابَّةٍ في الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [هود : ٦] فاشتغلت بما له عليّ وتركت مالي عنده .

والثامنة : رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم وصحة أبدانهم ، فتوكلت على الله تعالى :

* * *

ومن صفات علماء الآخرة : أن يكونوا منقبضين عن السلاطين ، محترزين من مخالطتهم .

قال حذيفة رضي الله عنه : إياكم ومواقف الفتن . قيل : وما هي ؟ قال : أبواب الأمراء ، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ، ويقول ما ليس فيه .

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء ، فاحذروا منه فانه لص .

وقال بعض السلف : إنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه .

ومن صفات علماء الآخرة : أن لا يتسرعوا إلى الفتوى ، وأن لا يفتوا إلا بما يتيقنون صحته .

وقد كان السلف يتدافعون الفتوى حتى ترجع الى الأول .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله : أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ما أحد يسأل عن حديث أو فتوى إلا ود أن أخاه كفاه ذلك . ثم قد آل الأمر الى إقدام أقوام يدّعون العلم اليوم ، يقدمون على

الجواب في مسائل لو عرضت لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لجمع أهل بدر واستشارهم .

ومن صفاتهم : أن يكون أكثر بحثهم في علم الأعمال عما يفسدها ويكدر القلوب ويهيج الوساوس ، فان صور الأعمال قريبة سهلة ، وإنما التعب في تصفيتها .

وأصل الدين : التوقي من الشر ، ولا يصح أن يتوقى حتى يعرف .

ومن صفاتهم : البحث عن أسرار الأعمال الشرعية ، والملاحظة لحكمها . فان عجز عن الاطلاع على العلة كفاه التسليم للشرع .

ومن صفاتهم : اتبـاع الصحابة وخيار التابعين ، وتوقي كل محدث .

obeikandl.com

كتاب الطهارة وأسرارها والصلاة وما يتعلق بها

اعلم: أن الطهارة لها أربع مراتب :

الأولى : تطهير الظاهر من الأحداث والأنجاس والفضلات .
والثانية : تطهير الجوارح من الذنوب والآثام .
والثالثة : تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة .

والرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى ، وهذا هو الغاية القصوى ، فمن قويت بصيرته سمت إلى هذا المطلوب ، ومن عميت بصيرته لم يفهم من مراتب الطهارة إلا المرتبة الأولى ، فتراه يضيع أكثر زمانه الشريف في المبالغة في الاستنجاء وغسل الثياب ، ظناً منه بحكم الوسوسة وقلة العلم أن الطهارة المطلوبة هي هذه فقط ، وجهلاً بسير المتقدمين الذين كانوا يستغرقون الزمان في تطهير القلوب ويتساهلون في أمر الظاهر ، كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه توضأ من جرة نصرانية ، وكانوا لا يكادون يغسلون أيديهم من الزهم[1] ويصلون على الأرض ، ويمشون حفاة ، ويقتصرون في الاستجمار على الأحجار .

وقد انتهى الأمر الى قوم يسمون الرعونة[2] نظافة ، فترى أكثر زمانهم يمضي في تزيين الظواهر ، وبواطنهم خراب محشوة بخبائث الكبر ، والعجب ، والجهل ، والرياء ، والنفاق . ولو رأوا مقتصراً في الاستجمار على الحجر ، أو حافياً يمشي على الأرض ، أو من يصلي عليها من غير حائل ، أو متوضأ من آنية عجوز ، لأنكروا عليه أشد الانكار ، ولقبوه بالقذر ، واستنكفوا من مؤاكلته .

فانظر كيف جعلوا البذاذة[3] التي هي من الايمان قذارة ، والرعونة نظافة ، وصيروا المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً . لكن من قصد بهذه الطهارة النظافة ولم يسرف في الماء ، ولم يعتقد أن استعمال الماء الكثير أصل الدين ، فليس ذلك بمنكر ، بل هو فعل حسن . وليرجع في معرفة الأنجاس والأحداث إلى كتب الفقه ، فان المقصود من هذا الكتاب الآداب .

---

(١) الوسخ الدسم .
(٢) الحماقة .
(٣) رثاثة الهيئة ، أراد التواضع في اللباس وترك التبجح .

وأما إزالة الفضلات فهي نوعان :

[النوع الأول] : أوساخ تزال ، كالذي يجتمع في الرأس من الوسخ والدرن ، فيستحب تنظيفه بالغسل والترجيل[1] والتدهين لإزالة الشعث ، وكذلك ما يجتمع في الأذن والأنف من الوسخ يستحب إزالته .

ويستحب التسوك والمضمضة لإزالة ما على الاسنان واللسان من القلح[2] ، وكذلك وسخ البراجم[3] والدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق ، وذلك يزيله الغسل .

ولا بأس بدخول الحمام ، فانه أبلغ في الإزالة ، وقد دخله جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لكن على داخله صيانة عورته من نظر الغير إليها ولمسه إياها . وينبغي للداخل اليه أن يتذكر بحرارته حر النار ، فان فكرة المؤمن لا تزال تجول في كل شيء من أمور الدنيا فيذكر به أمور الآخرة ، لأن الغالب على المؤمن أمر الآخرة ، وكل إناء ينضح بما فيه . ألا ترى أنه لو دخل الى دار ـ معمورة ـ بزاز ، ونجار ، وبناء ، وحائك ، رأيت البزاز ينظر الى الفرش يتأمل قيمتها ، والحائك ينظر الى نسج الثياب ، والنجار ينظر الى سقف الدار ، والبناء ينظر الى الحائط ، فكذلك المؤمن إن رأى ظلمة ذكر ظلمة القبر ، وإن سمع صوتاً هائلا تذكر نفخة الصور ، وإن رأى نعيماً تذكر نعيم الجنة ، وإن رأى عذاباً ذكر النار .

ويكره دخول الحمام قريباً من الغروب وبين العشاءين ، فانه وقت انتشار الشياطين .

النوع الثاني من إزالة الفضلات : أجزاء تحذف ، مثل قص الشارب ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وقص الأظافر . ويكره نتف الشيب ، ويستحب خضابه .

وباقي مراتب الطهارة يأتي في ربع المهلكات والمنجيات إن شاء الله تعالى .

فصل [في فضائل الصلاة]

واما الصلاة فانها عماد الدين وغرة الطاعات . وقد ورد في فضائل الصلاة أخبار

---

(١) ترجيل الشعر : ارساله بمشط .

(٢) وسخ الأسنان .

(٣) عقد اصابع اليدين .

كثيرة مشهورة ، ومن أحسن آدابها الخشوع .

وقد روي عن عثمان [بن عفان] رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما من امرىء تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة ، وذلك الدهر كله » .

وله في حديث أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وكان[عبد الله]ابن الزبير رضي الله عنهما اذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع ، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره لا تحسبه الا جذع حائط ، وصلى يوماً في الحجر[1] فجاء حجر قذافة[2] فذهب ببعض ثوبه فما انفتل .

وقال ميمون بن مهران : ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتاً في صلاة قط ، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدتها ، وإنه لفي المسجد يصلي فما التفت ، وكان أهل بيته إذا دخل المنزل سكتوا ، فاذا قام الى الصلاة تكلموا وضحكوا .

وكان علي بن الحسن رضي الله عنهما إذا توضأ اصفر لونه ، فقيل له : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فقال : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟

واعلم : ان للصلاة أركانا وواجبات وسنناً ، وروحها النية والاخلاص والخشوع وحضور القلب ، فان الصلاة تشتمل على أذكا ومناجاة وأفعال ، ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة ، لأن النطق إذا لم يعرب عما في الضمير كان بمنزلة الهذيان ، وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال ، لأنه اذا كان المقصود من القيام الخدمة ، ومن الركوع والسجود الذل والتعظيم ، ولم يكن القلب حاضراً ، لم يحصل المقصود ، فان الفعل متى خرج عن مقصوده بقي صورة لا اعتبار بها ، قال الله تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[الحج : ٣٧] والمقصود أن الواصل الى الله سبحانه وتعالى هو الوصف الذي استولى على القلب حتى حمل على امتثال الأوامر المطلوبة ، فلا بد من حضور القلب في الصلاة ، ولكن سامح الشارع في غفلة تطرأ ، لأن حضور القلب في أولها ينسحب حكمه على باقيها .

---

(١) الحجر : حطيم الكعبة .

(٢) القذافة : المنجنيق .

والمعاني التي تتم بها حياة الصلاة كثيرة .

المعنى الأول : حضور القلب كما ذكرنا ، ومعناه أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له ، وسبب ذلك الهمة ، فانه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة ، فلا علاج لإحضاره إلا صرف الهمة الى الصلاة ، وانصراف الهمة يقوى ويضعف بحسب قوة الايمان بالآخرة واحتقار الدنيا ، فمتى رأيت قلبك لا يحضر في الصلاة ، فاعلم ان سببه ضعف الإيمان ، فاجتهد في تقويته .

والمعنى الثاني : التفهم لمعنى الكلام فانه أمر وراء حضور القلب ، لأنه ربما كان القلب حاضراً مع اللفظ دون المعنى ، فينبغي صرف الذهن الى إدراك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها ، فان المواد اذا لم تنقطع لم تنصرف الخواطر عنها .

والمواد ، إما ظاهرة ، وهي ما يشغل السمع والبصر ، وإما باطنة وهي أشد كمن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا ، فإنه لا ينحصر فكره في فن واحد ، ولم يغنه غض البصر ، لأن ما وقع في القلب كاف في الاشتغال به .

وعلاج ذلك إن كان من المواد الظاهرة ، بقطع ما يشغل السمع والبصر ، وهو القرب من القبلة ، والنظر الى موضع سجوده ، والاحتراز في الصلاة من المواضع المنقوشة ، وأن لا يترك عنده ما يشغل حسه ، فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما صلى في انبجانية[1] لها أعلام نزعها وقال : « إنها ألهتني آنفاً عن صلاتي » .

وإن كان من المواد الباطنة ، فطريق علاجه أن يرد النفس قهراً إلى ما يقرأ في الصلاة ويشغلها به عن غيره ، ويستعد لذلك قبل الدخول في الصلاة ، بأن يقضي أشغاله ، ويجتهد في تفريغ قلبه ، ويجدد على نفسه ذكر الآخرة وخطر القيام بين يدي الله عز وجل وهول المطلع ، فان لم تسكن الأفكار بذلك ، فليعلم أنه إنما يتفكر فيما أهمه واشتهاه ، فليترك تلك الشهوات وليقطع تلك العلائق .

واعلم : أن العلة متى تمكنت لا ينفعها إلا الدواء القوي ، والعلة اذا قويت جاذبت المصلي وجاذبها إلى أن تنقضي الصلاة في المجاذبة ، ومثل ذلك كمثل رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره ، وكانت أصوات العصافير تشوش عليه وفي يده

---

(١) بكسر الباء ويروى بفتحها : كساء منسوب الى منبج بكسر الباء : مدينة من أعمال حلب ، وفتحت في النسب وقيل : الى موضع اسمه انبجان .

خشبة يطيرها بها ، فما يستقر فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بهـا ، فقيل له : هذا شيء لا ينقطع ، فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة ، فكذلك شجرة الشهوة إذا علت وتفرقت أغصانها انجذبت اليها الأفكار كانجذاب العصافير الى الاشجار والذباب إلى الاقذار ، فذهب العمر النفيس في دفع ما لا يندفع ، وسبب هذه الشهوة التي توجب هذه الأفكار حب الدنيا .

قيل لعامر بن عبد قيس رحمه الله : هل تحدثك نفسك بشيء من أمور الدنيا في الصلاة ؟ فقال : لأن تختلف الأسنة فيَّ أحب إليَّ من أجد هذا .

واعلم : أن قطع حب الدنيا من القلب أمر صعب ، وزواله بالكلية عزيز ، فليقع الاجتهاد في الممكن منه ، والله الموفق المعين .

المعنى الثالث : التعظيم لله والهيبة ، وذلك يتولد من شيئين : معرفة جلال الله تعالى وعظمته ، ومعرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة ، فيتولد من المعرفتين : الاستكانة ، والخشوع .

ومن ذلك الرجاء : فانه زائد على الخوف ، فكم من معظم ملكاً يهابه لخوف سطوته كما يرجو بره .

والمصلي ينبغي أن يكون راجياً بصلاته الثواب ، كما يخاف من تقصيره العقاب .

وينبغي للمصلي أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة ، فاذا سمع نداء المؤذن فليمثل النداء للقيامة ويشمر للاجابة ، ولينظر ماذا يجيب ، وبأي بدن يحضر . واذا ستر عورته فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق ، فليذكر عورات باطنه وفضائح سره التي لا يطلع عليها الا الخالق ، وليس لها عنه ساتر ، وأنها يكفرها الندم ، والحياء ، والخوف .

واذا استقبل القبلة فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله تعالى ، فصرف قلبه الى الله تعالى أولى من ذلك ، فكما أنه لا يتوجه الى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها ، كذلك القلب لا ينصرف إلى الله تعالى إلا بالانصراف عما سواه .

إذا كبرت أيها المصلي ، فلا يكذبن قلبك لسانك ، لانه اذا كان في قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت ، فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله تعالى .

فإذا استعذت ، فاعلم أن الاستعاذة هي لجأ الى الله سبحانه ، فاذا لم تلجأ بقلبك كان كلامك لغواً ، وتفهم معنى ما تتلو ، وأحضر التفهم بقلبك عند قولك : ﴿ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ ، واستحضر لطفه عند قولك : ﴿ الرَّحْمٰن الرَّحيم ﴾ ، وعظمته عند قولك : ﴿ مَالك يَوْم الدِّين ﴾ ، وكذلك في جميع ما تتلو .

وقد روينا عن زرارة بن أبي أوفى رضي الله عنه أنه قرأ في صلاته : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ [المدثر : ٨] فخر ميتاً ، وما ذاك إلا لأنه صور تلك الحال فأثرت عنده التلف .

واستشعر في ركوعك التواضع ، وفي سجودك زيادة الذل ، لأنك وضعت النفس موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خُلقت منه وتفهم معنى الأذكار بالذوق .

واعلم : أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب لجلاء القلب من الصدإ ، وحصول الأنوار فيه التي بها تتلمح عظمة المعبود ، وتطلع على اسراره وما يعقلها إلا العالمون .

فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها ، فانه لا يطلع على شيء من ذلك بل ينكر وجوده .

فصل في آداب تتعلق بصلاة الجمعة ويوم الجمعة .

وهي نحو من خمسة عشر :

أحدها : أن يستعد لها من يوم الخميس وفي ليلة الجمعة ، بالتنظيف ، وغسل الثياب ، وإعداد ما يصلح لها .

الثاني : الاغتسال في يومها ، كما جاء في الأحاديث في « الصحيحين » وغيرهما . والأفضل في الاغتسال أن يكون قبيل الرواح إليها .

الثالث : التزين بتنظيف البدن ، وقص الأظفار ، والسواك ، وغير ذلك مما تقدم من إزالة الفضلات ، ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه .

الرابع : التبكير إليها ماشياً .

وينبغي للساعي الى الجامع أن يمشي بسكون وخشوع ، وينوي الاعتكاف في

المسجد الى وقت خروجه .

الخامس : أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يفرق بين اثنين إلا أن يرى فرجة فيتخطى إليها .

السادس : أن لا يمر بين يدي المصلي .

السابع : أن يطلب الصف الأول ، إلا أن يرى منكراً أو يسمعه فيكون له في التأخر عذراً .

الثامن : أن يقطع النفل من الصلاة والذكر عند خروج الامام ، ويشتغل باجابة المؤذن ، ثم بسماع الخطبة .

التاسع : أن يصلي السنة بعد الجمعة إن شاء ركعتين ، وإن شاء أربعاً ، وإن شاء ستاً .

العاشر : أن يقيم في المسجد حتى يصلي العصر ، وإن أقام الى المغرب فهو أفضل .

الحادي عشر : أن يراقب الساعة الشريفة التي في يوم الجمعة باحضار القلب وملازمة الذكر .

واختلف في هذه الساعة ، ففي أفراد مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه : أنها ما بين أن يجلس الإمام الى أن تقضى الصلاة[1] . وفي حديث آخر : هي ما بين فراغ الامام من الخطبة الى ان تقضى الصلاة . وفي حديث جابر رضي الله عنه : أنها آخر ساعة بعد العصر . وفي حديث أنس رضي الله عنه قال : التمسوها ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس .

وقال أبو بكر الأثرم رحمه الله : لا تخلو هذه الأحاديث من وجهين : إما أن يكون بعضها أصح من بعض ، وإما أن تكون هذه الساعة تنتقل في الأوقات كتنقل ليلة القدر في ليالي العشر .

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٣) في الجمعة : باب في الساعة التي في يوم الجمعة من حديث ابن وهب ، عن مخرمة بن بكير ، عن أبيه ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبي موسى . وقد أعل بالانقطاع والاضطراب ، أما الانقطاع ، فلأن مخرمة بن بكير لم يسمع من أبيه . . . وأما الاضطراب ، فقد رواه أبو إسحاق وواصل الأحدب ومعاوية بن قرة وغيرهم عن أبي بردة من قوله ، وهؤلاء من أهل الكوفة وأبو بردة كوفي ، فهم أعلم بحديثه من بكير المدني ، وهم عدد وهو واحد ، ولذا جزم الدارقطني بأن الموقوف هو الصواب ، وحديث جابر انها آخر ساعة بعد العصر أخرجه أبو داود (١٠٤٨) والنسائي ٣/ ٩٩ ، ١٠٠ وسنده جيد ، وصححه الحاكم ١/ ٢٧٩ ووافقه الذهبي ، وصححه أيضاً النووي وحسنه الحافظ ابن حجر ، ويشهد له حديث أنس الذي أورده المؤلف بعده .

الثاني عشر : أن يكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا اليوم ، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من صلى عليَّ في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله ذنوب ثمانين سنة »[1] .

وإن أحب زاد في الصلاة عليه الدعاء له ، كقوله : « اللهم آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته ، اللهم اجز نبينا عنا ما هو أهله » .

وليضف الى الصلاة الاستغفار ، فانه مستحب في ذلك اليوم .

الثالث عشر : أن يقرأ سورة الكهف ، فقد جاء في حديث من رواية عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا أحدثكم بسورة ملأ عظمها ما بين السماء والأرض ، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ، ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينها وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ، ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله تعالى أي الليل[2] شاء » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله : قال « سورة الكهف »[3] .

وروي في حديث آخر : « أن من قرأها في يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي الفتنة » .

ويستحب أن يكثر من قراءة القرآن في يوم الجمعة ، وأن يختم فيه أو في ليلة الجمعة إن قدر .

---

(١) أورده السخاوي في « القول البديع » ص ١٩٤ ونسبه للتيمي في « ترغيبه » وأبي الشيخ ابن حبان في بعض أجزائه ، والديلمي في « مسنده » وسنده ضعيف ويغني عنه حديث أوس بن أوس مرفوعاً « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا عليَّ الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي » أخرجه أبو داود (١٠٤٧) واسناده صحيح ، وصححه ابن حبان (٥٥٠) والحاكم ١/ ٢٧٨ ، ووافقه الذهبي .
وحديث أبي بن كعب قلت : يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : ما شئت ، قلت : الربع ؟ قال : ما شئت وإن زدت فهو خير ، قلت : النصف ، قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير ، قلت : الثلثين ، قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قلت : أجعل لك صلاتي كلها ، قال : إذاً تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك » أخرجه الترمذي (٢٤٥٩) وهو حديث صحيح خرجناه في « جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام » لابن القيم طبع مكتبة دار البيان بدمشق . صفحة (٤٥) .

(٢) أي : جزء من الليل .

(٣) قال الشوكاني في « الفوائد المجموعة » ص ٣١١ بعد أن ذكره : وهو حديث طويل موضوع . ويغني عنه الحديث الذي بعده .

الرابع عشر : أن يتصدق في يوم الجمعة بما أمكن ، ولتكن صدقته خارج المسجد .

ويستحب أن يصلي صلاة التسبيح في يوم الجمعة .

الخامس عشر : يستـ[illegible] أن يجعل يوم الجمعة لأعمال الآخرة ، ويكف عن جميع أشغال الدنيا .

فصل في ذكر النوافل

اعلم : أن ما عدا الفرائض من الصلاة ثلاثة أقسام :
سنن ، ومستحبات ، وتطوعات .

ونعني بالسنة : ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المواظبة عليه ، كالرواتب عقيب الفرائض والوتر والضحى .

ونعني بالمستحب : ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه ، كالصلاة عند دخول المنزل والخروج منه .

ونعني بالتطوعات : ما وراء ذلك مما لم يرد به خبر،لكن العبد يتطوع بفعله ، وتسمى هذه الأقسام الثلاثة : نوافل ، لأن النفل هو زيادة ، وهذه زيادة على الفرائض .

واعلم : أن أفضل تطوعات البدن : الصلاة .

وأقسام النوافل وفضائلها مشهورة مذكورة في كتب الفقه وغيرها ، لكن نذكر منها صلاة التسبيح ، لأنها قد تخفى صفتها على بعض الناس .

فروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للعباس « يا عماه : ألا أعطيك ، ألا أعلمك ـ وذكر الحديث الى أن قال ـ : « تصلي أربع ركعات ، تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة ، فاذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشراً ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً ، ثم تهوي ساجداً فتقولها وأنت ساجد عشراً ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ، ثم تسجد فتقولها عشراً ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً قبل أن تقوم ، فذلك خمس وسبعون ، تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها

obeikandi.com

في كل يوم مرة فافعل ، فان لم تفعل ، ففي كل جمعة مرة ، فإن لم تفعل ، ففي كل شهر مرة ، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة ، فان لم تفعل ففي عمرك مرة » .

فصل [في أوقات النهي عن الصلاة]

ولا يتطوع في أوقات النهي بصلاة لا سبب لها كصلاة التسبيح ، لأن النهي مؤكد فيها عن الصلاة ، وهذه الأشياء ضعيفة فلا تعاومه . وأما ما له سبب ، كتحية المسجد ، وصلاة الكسوف والاستسقاء ونحوها ، فعلى روايتين .

واعلم : أن النهي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة له ثلاثة أسرار .

احدها : ترك التشبه بعباد الشمس .

الثاني : التحذير من السجود لقرن الشيطان ، فان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان ، فاذا ارتفعت فارقها ، فاذا استوت قارنها ، فاذا زالت الشمس فارقها ، فاذا تضيفت للغروب قارنها ، فاذا غربت فارقها .

الثالث : ان سالكي طريق الآخرة مواظبون على العبادات ، والمواظبة على نمط واحد يورث الملل ، فاذا وقع المنع زاد النشاط ، لأن النفس حريصة على ما منعت منه ، فمنع الانسان من الصلاة في أوقات النهي ، ولم يمنع من نوع آخر من التعبد ، كالقراءة ، والتسبيح لينتقل العابد من حال الى حال ، كما جعلت الصلاة متنوعة بين قيام وقعود وركوع وسجود ، والله اعلم .

كتاب الزكاة وأسرارها وما يتعلق بها

الزكاة : أحد مباني الاسلام ، وقد قرنها الله سبحانه وتعالى بالصلاة ، فقال تعالى . ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة : ٤٣] .

أما أنواع الزكاة ، وأقسامها ، وأسباب وجوبها ، فظاهر مشهور في مظانه من كتب الفقه ، وانما نذكر ها هنا بعض الشروط والآداب .

فمن الشروط أن يخرج المنصوص عليه ، ولا يخرج القيمة في الصحيح ، فان من أجاز إخراج القيمة إنما تلمح سدَّ الخلة فقط ، وسد الخلة ليس هو كل المقصود بل بعضه ، فان واجبات الشرع ثلاثة أقسام :

القسم الأول : تعبد محض ، كرمي الجمار ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر عبودية العبد بفعل ما لا يعقل له معنى ، لأن ما يعقل معناه يساعد عليه الطبع ويدعو اليه ، فلا يظهر خلوص العبودية به ، بخلاف ما ذكرنا .

والقسم الثاني : عكس ذلك ، وهو ما لا يقصد منه التعبد ، بل المقصود منه حض محض ، كقضاء دين الآدميين ، ورد المغصوب ونحو ذلك ، وكذلك لا تعتبر فيه النية ولا الفعل ، بل كيفما وصل الحق الى مستحقه حصل المقصود وسقط خطاب الشرع ، فهذان قسمان لا تركيب فيهما .

واما القسم الثالث : فهو المركب ، وهو أن يقصد منه الأمران جميعاً : امتحان المكلف ، وحظ العباد ، فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار ، وحظ رد الحقوق ، فلا ينبغي أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد ، ولعل الأدق هو الأهم ، والزكاة من هذا القبيل ، فحظ الفقير مقصود في سد الخلة ، وحق التعبد مقصود الشرع في اتباع التفاصيل ، وبهذا الاعتبار صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج ، والله اعلم .

فصل في دقائق الآداب الباطنة في الزكاة

اعلم : أن على مريد الآخرة في زكاته وظائف :

الأولى : أن يفهم المراد من الزكاة ، وهو ثلاثة أشياء : ابتلاء مدعي محبة الله تعالى باخراج محبوبه ، والتنزه عن صفة البخل المهلك ، وشكر نعمة المال .

الوظيفة الثانية : الاسرار اخ ... ،نه أبعد من الرياء والسمعة ، وفي الاظهار إذلال للفقير أيضاً ، فان خاف أ... عدم الاخراج أعطى من لا يبالي من الفقراء بالأخذ بين الجماعة علانية ... سراً .

الوظيفة الثالثة : أن لا يفسدها با... ن والأذى ، وذلك أن الانسان إذا رأى نفسه محسناً إلى الفقير ، منعماً بالاعطاء ، ر... ا حصل منه ذلك ، ولو حقق النظر لرأى الفقير محسناً إليه بقبول حق الله الذي هو ط... ه له .

وإذا استحضر مع ذلك أن إخراجه للزكاة شكر لنعمة المال ، فلا ير... بينه وبين الفقير معاملة . ولا ينبغي أن يحتقر الفقير لفقره ، لأن الفضل ليس بالمال ولا النقص بعدمه .

الوظيفة الرابعة : أن يستصغر العطية ، فإن المستعظم للفعل معجب به . وقد قيل : لا يتم المعروف إلا بثلاث : بتصغيره ، وتعجيله ، وستره .

الوظيفة الخامسة : أن ينتقي م... ه أحله وأجوده وأحبه اليه ، أما الحل ، فان الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً . وأما ... ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٢٦٧]

وينبغي أن يلاحظ في ذلك أمرين : أحدهما : حق الله سبحانه وتعالى بالتعظيم له ، فانه أحق من اختير له ، ولو أن الانسان قدم الى ضيفه طعاماً رديئاً لأوغر صدره .

والثاني : حق نفسه ، فان الذي يقدمه هو الذي يلقاه ... القيامة ، فينبغي أن يختار الأجود لنفسه .

وأما أحبه اليه ، فلقوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا اشتد حبه لشيء من ماله قربه لله عز وجل . وروي : أنه نزل الجحفة وهو شاك ، فقال : إني لأشتهي حيتاناً ، فالتمسوا له فلم يجدوا إلا حوتاً ، فأخذته امرأته فصنعته ثم قربته اليه ، فأتى مسكين ، فقال ابن عمر رضي الله عنه : خذه ، فقال له أهله : سبحان الله ، قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه ، فقال : إن عبد الله يحبه .

obeikandl.com

وروي أن سائلا وقف بباب الربيع بن خيثم رحمة الله عليه فقال : أطعموه سكراً ، فقالوا : نطعمه خبزاً أنفع له فقال : ويحكم أطعموه سكراً ، فان الربيع يحب السكر .

الوظيفة السادسة : أن يطلب لصدقته من تزكو به ، وهم خصوص من عموم الأصناف الثمانية ، ولهم صفات :

الأولى : التقوى ، فليخص بصدقته المتقين ، فانه يرد بها هممهم إلى الله تعالى .

وقد كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتخير العباد وهم سجود ، فيأتيهم بالصرة فيها الدنانير والدراهم ، فيضعها عند نعالهم بحيث يحسون بها ولا يشعرونّ بمكانه ، فقيل له : ما يمنعك أن ترسل بها إليهم ؟ فيقول : أكره أن يتمعر وجه أحدهم إذا نظر إلى رسولي أو لقيني .

الثانية : العلم ، فان في إعطاء العالم إعانة على العلم ونشر الدين ، وذلك تقوية للشريعة .

الثالثة : أن يكون ممن يرى الإنعام من الله وحده ، ولا يلتفت إلى الأسباب إلا بقدر ما ندب إليه من شكرها ، فاما الذي عادته المدح عند العطاء ، فانه سيذم عند المنع .

الرابعة : أن يكون صائناً لفقره ، ساتراً لحاجته ، كاتماً للشكوى ، كما قال تعالى : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

وهؤلاء لا يحصلون في شبكة الطالب إلا بعد البحث عنهم ، وسؤال أهل كل محلة عمن هذه صفته .

الخامسة : أن يكون ذا عائلة ، أو محبوساً لمرض أو دين ، فهذا من المحصرين ، والتصدق عليه إطلاق لحصره .

السادسة : أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام ، فان الصدقة عليهم صدقة وصلة ، وكل من جمع من هذه الخلال خلتين أو أكثر ، كان إعطاؤه أفضل على قدر ما جمع .

فصل في آداب القابض

لا بد أن يكون آخذ الزكاة من الأصناف الثمانية ، وعليه في ذلك وظائف .

[الوظيفة] الأولى : أن يفهم أن الله تعالى انما أوجب صرف الزكاة إليه ليكفيه ما أهمه ، ويجعل همومه هماً واحداً في طلب رضى الله عز وجل .

[الوظيفة] الثانية : أن يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ، وليكن ذلك بمقدار شكر السبب ، فان من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، كما ورد في الحديث .

ومن تمام الشكر أن لا يحتقر العطاء وإن قل ، ولا يذمه ، ويغطي ما فيه من عيب . وكما أن وظيفة المعطي الاستصغار فوظيفة المعطى الاستعظام ، وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل . فإن من لا يرى الواسطة واسطة ، فهو جاهل ، وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلا .

الوظيفة الثالثة : أن ينظر فيما يعطاه ، فان لم يكن من حل لم يأخذه أصلا ، لأن إخراج مال الغير ليس بزكاة ، وإن كان من شبهة تورع عنه ، إلا أن يضيق عليه الأمر ، فمن كان أكثر كسبه حراماً ، فأخرج الزكاة ولم يعرف لما أخرجه مالك معين ، كانت الفتوى فيه أن يتصدق به[1] ، فيجوز لهذا الفقير أن يأخذ قدر حاجته عند ضيق الأمر عليه وعجزه عن الصافي .

الوظيفة الرابعة : أن يتوقى مواقع الشبه في قدر ما يأخذ ، فيأخذ القدر المباح له ، ولا يأخذ أكثر من حاجته . فان كان غارماً لم يزد على مقدار الدين ، أو غازياً لم يأخذ إلا مقدار ما يحتاج اليه ، وإن أخذ بالمسكنة أخذ قدر حاجته دون ما يستغنى عنه ، وكل ذلك موكول الى اجتهاده ، والورع ترك ما يريب .

واختلف العلماء في قدر الغنى المانع من الزكاة ، والصحيح فيه أن يكون له كفاية على الدوام ، إما من تجارة ، أو صناعة ، أو أجر عقار ، أو غير ذلك ، وإن كان له بعض الكفاية أخذ ما يتممها ، وإن لم يكن له ذلك أخذ ما يكفيه .

وليكن ما يأخذه بقدر ما يكفي سنته ولا يزيد على ذلك ، وإنما اعتبر بالسنة ، لانها

---

(١) عبارة الغزالي : اذا ضاق الامر عليه ، أي الآخذ ، وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معيناً فله أن يأخذ بقدر الحاجة ، فاذا أخذ لم يكن أخذ زكاة ، إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام .

إذا ذهبت جاء وقت الأخذ ، واذا أخذ الأكثر منها ضيق على الفقراء .

فصل في صدقة التطوع وفضلها وآدابها

أما فضائل الصدقة فهي كثيرة مشهورة :

منها : ما روى البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه ، قال : فان ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر » .

وفي « الصحيحين » من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من تصدق بعدل[1] تمرة من كسب طيب ـ ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ـ فان الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه[2] حتى تكون مثل الجبل » .

وفي حديث آخر : « إن الصدقة لتطفىء غضب الرب ، وتقي ميتة السوء »[3] .
وفي حديث آخر : « تصدقوا فإن الصدقة فكاكم من النار »[4] .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « ما يخرج أحد شيئاً من الصدقة حتى يفك عنه لحى سبعين شيطاناً » .

وروي أن راهباً تعبد في صومعة ستين سنة ، ثم نزل يوماً ومعه رغيف ، فعرضت له امرأة فتكشفت له ، فوقع عليها ، فأدركه الموت وهو على تلك الحال ، وجاء سائل فأعطاه الرغيف ومات ، فجيء بعمل ستين سنة ، فوضع في كفة وخطيئته في كفة ، فرجحت بعمله ، حتى جيء بالرغيف فوضع مع عمله ، فرجح بخطيئته .

وفي أفراد مسلم ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه

---

(١) أي بمثل .

(٢) أي المهر الصغير . وقيل : الصغير من أولاد ذوات الحافر .

(٣) سنده ضعيف ، لكن في الباب ما هو صحيح عن أبي أمامة عند الطبراني بلفظ « صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب » .
وعن أنس عند الحاكم بلفظ « صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والآفات والهلكات ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة » . وعن أم سلمة عند الطبراني في « الاوسط » .

(٤) اسناده ضعيف ، تفرد به الحارث بن عمير وهو ضعيف أخرجه الطبراني في « الاوسط » وأبو نعيم في « الحلية » .

وآله وسلم أنه قال : « ما نقصت صدقة من مال » .

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ما بقي منها ؟ » فقالت : ما بقي منها إلا كتفها ، فقال : « بقي كلها إلا كتفها » .

وأما آدابها ، فنحو ما تقدم في الزكاة .

واختلفوا : أيما أفضل للفقير ، أن يأخذ من الزكاة ، أو من الصدقة . فقال قوم : من الزكاة أفضل ، وقال آخرون : من الصدقة أفضل .

وأما أفضل الصدقة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أي الصدقة أفضل ؟ قال : « أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر ، وتأمل الغنى ، ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ، ولفلان كذا ، وقد كان لفلان » أخرجاه في « الصحيحين » .

كتاب الصوم وأسراره ومهماته وما يتعلق به

اعلم : أن في الصوم خصيصة ليست في غيره ، وهي إضافته إلى الله عز وجل حيث يقول سبحانه[1] : « الصوم لي وأنا أجزي به » ، وكفى بهذه الاضافة شرفاً ، كما شرف البيت باضافته إليه في قوله : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ [الحج : ٢٦] . وإنما فضل الصوم لمعنيين :

أحدهما : أنه سر وعمل باطن ، لا يراه أحد ولا يدخله رياء .

الثاني : أنه قهر لعدو الله ، لأن وسيلة العدو الشهوات ، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ، وما دامت أرض الشهوات مخضرة ، فالشياطين يترددون إلى ذلك المرعى ، وبترك الشهوات تضيق عليهم المسالك . وفي الصوم أخبار كثيرة تدل على فضله وهي مشهورة .

فصل في سنن الصوم

يستحب السحور ، وتأخيره ، وتعجيل الفطر ، وأن يفطر على التمر .

ويستحب الجود في رمضان ، وفعل المعروف ، وكثرة الصدقة ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ويستحب دراسة القرآن ، والاعتكاف في رمضان . لا سيما في العشر الأواخر ، وزيادة الاجتهاد فيه .

وفي « الصحيحين » من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل العشر [يعني الأخير] ، شد مئزره ، وأحيا الليل ، وأيقظ أهله .

وذكر العلماء في معنى شد المئزر وجهين :

أحدهما : أنه الاعراض عن النساء .

الثاني : أنه كناية عن الجد والتشمير في العمل . قالوا : وكان سبب اجتهاده في العشر طلب ليلة القدر .

---

(١) أي في الحديث القدسي .

بيان أسرار الصوم وآدابه

وللصوم ثلاث مراتب : صوم العموم . وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص .

فأما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

وأما صوم الخصوص : فهو كف النظر ، واللسان ، واليد ، والرجل ، والسمع ، والبصر ، وسائر الجوارح عن الآثام .

وأما صوم خصوص الخصوص : فهو صوم القلب عن الهمم الدنيئة ، والأفكار المبعدة عن الله تعالى ، وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية ، وهذا الصوم له شروح تأتي في غير هذا الموضع .

فمن آداب صوم الخصوص : غض البصر ، وحفظ اللسان عما يؤذي من كلام محرم أو مكروه ، أو ما لا يفيد ، وحراسة باقي الجوارح .

وفي الحديث من رواية البخاري ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه[1] » .

ومن آدابه : أن لا يمتلىء من الطعام في الليل ، بل يأكل بمقدار ، فانه ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطن . ومتى شبع أول الليل لم ينتفع بنفسه في باقيه ، وكذلك إذا شبع وقت السحر لم ينتفع بنفسه إلى قريب من الظهر ، لأن كثرة الاكل تورث الكسل والفتور ، ثم يفوت المقصود من الصيام بكثرة الأكل ، لأن المراد منه أن يذوق طعم الجوع ، ويكون تاركاً للمشتهى .

فأما صوم التطوع ، فاعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة ، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة ، كصيام ستة أيام من شوال بعد رمضان ، وكصيام يوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، وعشر ذي الحجة ، والمحرم .

وبعضها يتكرر في كل شهر ، كأوله ، وأوسطه ، وآخره ، فمن صام أول الشهر

---

(١) المعنى أن الله لا يبالي بعمله ولا ينظر اليه ، لانه أمسك عما أبيح له في غير وقت الصوم ، ولم يمسك عما حرم عليه في سائر الأحايين .

وأوسطه وآخره فقد أحسن . غير أن الأفضل أن يجعل الثلاثة أيام البيض .

وبعضها يتكرر في كل أسبوع وهو يوم الاثنين ، ويوم الخميس .

وأفضل صوم التطوع صوم داود عليه السلام ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وذلك يجمع الثلاثة معان :

أحدهـا : أن النفس تعطى يوم الفطر حظها ، وتستوفي في يوم الصوم تعبدها ، وفي ذلك جمع بين ما لها وما عليها ، وهو العدل .

والثاني : أن يوم الأكل يوم شكر ، ويوم الصوم يوم صبر ، والايمان نصفان : شكر وصبر .

والثالث : أنه أشق على النفس في المجاهدة ، لأنها كلما أنسـت بحالـة نقلـت عنها . فأما صوم الدهر : ففي أفراد مسلم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : كيف بمن يصوم الدهر كله ؟ فقال : « لا صام ولا أفطر ـ أو ـ لم يصم ولم يفطر » وهذا محمول على من سرد الصوم في الأيام المنهي عن صيامها : فأمـا إذا أفطـر يومـي العيدين وأيام التشـريق فلا بأس بذلك .

فقد روي عن هشام بن عروة رحمه الله أن أباه كان يسرد الصوم ، وكانت عائشة رضي الله عنها تسرد .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه ، سرد أبو طلحة الصوم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعين عاماً .

واعلم : أن من رزق فطنة ، علم المقصود بالصوم ، فحمل نفسه قدر ما لا يعجزه عما هو أفضل منه .

فقد كان ابن مسعود قليل الصوم ، وكان يقول : إذا صمت ضعفت عن الصلاة ، وأنا أختار الصلاة على الصوم .

وكان بعضهم إذا صام ضعف عن قراءة القرآن ، فكان يكثر الفطر حتى يقدر على التلاوة ، وكل إنسان أعلم بحاله وما يصلحه[1] .

كتاب الحج وأسراره وفضائله وآدابه ونحو ذلك

ينبغي لمن أراد الحج أن يبدأ بالتوبة ، ورد المظالم ، وقضاء الديون ، وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ، ويرد ما عنده من الودائع .

ويستصحب من المال الحلال ما يكفيه لذهابه ورجوعه من غير تقتير ، على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد ، والرفق بالفقراء .

ويستصحب ما يصلحه كالسواك ، والمشط ، والمرآة ، والمكلحة .

ويتصدق بشيء قبل خروجه ، وإذا اكترى فليظهر للجمال كل ما يريد أن يحمله من قليل وكثير . وقد قال رجل لابن المبارك : احمل لي هذه الرقعة الى فلان . فقال : حتى أستأذن الجمال .

وينبغي أن يلتمس رفيقاً صالحاً محباً للخير معيناً عليه ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن ضاق صدره صبَّره .

وليؤمِّر الرفقاء عليهم أحسنهم خلقاً ، وأرفقهم بالأصحاب ، وإنما احتيج إلى التأمير لأن الآراء تختلف ، فلا ينتظم التدبير ، وعلى الأمير الرفق بالقوم ، والنظر في مصالحهم ، وأن يجعل نفسه وقاية لهم .

وينبغي للمسافر تطييب الكلام ، وإطعام الطعام ، وإظهار محاسن الأخلاق ، فإن السفر يخرج خفايا الباطن ، ومن كان في السفر الذي هو مظنة الضجر حسن الخلق ، كان في الحضر أحسن خلقاً .

---

(١) قال ابن عبد البر في « التمهيد » :

كتب العمري العابد الى مالك رحمه الله يحضه على الانفراد والعمل ويرغبه عن الاجتماع اليه في العلم ، فكتب اليه مالك : إن الله تعالى قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام ، وآخر فتح له في الجهاد ولم يفتح له الصلاة . ونشر العلم وتعليمه من أشرف أعمال البر . وقد رضيت بما فتح الله عز وجل فيه من ذلك ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وارجو أن يكون كلانا على خير وبر ، ويجب على كل منا ان يرضى بما قسم له والسلام .

وقد قيل : إذا أثنى على الرجل معامليه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكُّوا في صلاحه .

وينبغي له أن يودع رفقاءه وإخوانه المقيمين ، ويلتمس أدعيتهم ، ويجعل خروجه بكرة يوم الخميس ، وليصل في منزله ركعتين قبل الخروج منه ويستودع أهله وماله ، ويستعمل الأدعية والأذكار المأثورة عند خروجه من منزله ، وفي ركوبه ونزوله ، وهي مشهورة في كثير من الكتب في مناسك الحج ، وكذلك جميع المناسك من الاحرام ، والطواف ، والسعي ، والوقوف بعرفة ، وغير ذلك من أعمال الحج يأتي فيها بما ذكر من الأذكار والدعوات والآداب ، وكل ذلك مستوفى في كتب الفقه وغيرها ، فليطلب هناك .

فصل في الآداب الباطنة والاشارة الى أسرار الحج

اعلم : أنه لا وصول الى الله سبحانه وتعالى إلا بالتجرد والانفراد لخدمته ، وقد كان الرهبان ينفردون في الجبال طلباً للأنس بالله ، فجعل الحج رهبانية لهذه الأمة .

فمن الآداب المذكورة ، أن يكون خالياً في حجه من تجارة تشغل قلبه وتفرق همه ، ليجتمع على طاعة الله تعالى ، وأن يكون أشعث أغبر ، رث الهيئة ، غير مستكثر من الزينة .

وينبغي أن يتجنب ركوب المحمل إلا من عذر ، كمن لا يستمسك على الزاملة[1] فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حج على راحلة وتحته رحل رث .

وفي حديث جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الله عز وجل يباهي بالحاج الملائكة فيقول : انظروا إلى عبادي ، أتوني شعثاً غبراً من كل فج عميق ، أشهدكم أني قد غفرت لهم » .

وقد شرف الله تعالى بيته وعظمه ، ونصبه مقصداً لعباده ، وجعل ما حوله حرماً له تفخيماً لأمره ، وتعظيماً لشأنه ، وجعل عرفة كالميدان على فنائه .

واعلم : أن في كل واحد من أفعال الحج تذكرة للمتذكر ، وعبرة للمعتبر .

---

(١) هو البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع .

فمن ذلك : أن يتذكر بتحصيل الزاد زاد الآخرة من الأعمال ، وليحذر أن تكون أعماله فاسدة من الرياء والسمعة فلا تصحبه ولا تنفعه ، كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر ، فيبقى صاحبه وقت الحاجة متحيراً ، فاذا فارق وطنه ودخل البادية وشهد تلك العقبات ، فليتذكر بذلك خروجه من الدنيا بالموت الى ميقات القيامة وما بينهما من الاهوال .

ومن ذلك : أن يتذكر وقت إحرامه وتجرده من ثيابه ، إذا لبس المحرم الاحرام لبس كفنه ، وأنه سيلقى ربه على زي مخالف لزي أهل الدنيا ، وإذا لبى فليستحضر بتلبيته إجابة الله تعالى إذ قال :﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحَجِّ ﴾[الحج : ٢٧] ، وليرج القبول ، وليخش عدم الاجابة ، وكذلك إذا وصل الى الحرم ينبغي أن يرجو الأمن من العقوبة ، وأن يخشى أن لا يكون من أهل القُرب ، غير أنه ينبغي أن يكون الرجاء غالباً ، لأن الكرم عميم ، وحق الزائر مرعي ، وذمام المستجير لا يضيع .

ومن ذلك : إذا رأى البيت الحرام استحضر عظمته في قلبه ، وشكر الله تعالى على تبليغه رتبة الوافدين إليه ، وليستشعر عظمة الطواف به ، فإنه صلاة ، ويعتقد عند استلام الحجر أنه مبايع لله على طاعته ، ويضم إلى ذلك عزيمته على الوفاء بالبيعة ، وليتذكر بالتعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم لجأ المذنب إلى سيده وقرب المحب .

وأنشد بعضهم في ذلك :

ستور بيتك نيل الأمن منك وقد ... علقتها مستجيراً أيها الباري
وما أظنك لما أن علقت بها ... خوفاً من النار تدنيني من النار
وها أنا جار بيت أنت قلت لنا ... حجوا إليه وقد أوصيت بالجار

ومن ذلك : إذا سعى بين الصفا والمروة ، ينبغي أن يمثلها بكفتي الميزان ، وتردده بينهما في عرصات القيامة ، أو تردد العبد الى باب دار الملك ، إظهاراً لخلوص خدمته ، ورجاء الملاحظة بعين رحمته ، وطمعاً في قضاء حاجته .

وأما الوقوف بعرفة : فاذكر بما ترى فيه من ازدحام الخلق ، وارتفاع أصواتهم واختلاف لغاتهم موقف القيامة ، واجتماع الأمم في ذلك الموطن ، واستشفاعهم .

فإذا رميت الجمار : فاقصد بذلك الانقياد للأمر ، وإظهار الرق والعبودية ، ومجرد الامتثال من غير حظ النفس .

وأما المدينة : فاذا لاحت لك فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وشرع إليها هجرته ، وجعل فيها بيته ، ثم مثل في نفسك مواضع أقدام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند تردده فيها ، وتصور خشوعه وسكينته ، فاذا قصدت زيارة القبر ، فأحضر قلبك لتعظيمه ، والهيبة له ، ومثل صورته الكريمة في خيالك ، واستحضر عظيم مرتبته في قلبك ، ثم سلم عليه ، واعلم انه عالم بحضورك وتسليمك ، كما ورد في الحديث .

* * *

obeikandl.com

كتاب آداب القرآن الكريم وذكر فضله

أعظم فضائل القرآن الكريم أنه كلام الله عز وجل ، وقد مدحه الله تعالى في آيات كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾[الانعام : ٩٢]﴿ إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[الاسراء : ٩]﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت : ٤٢] .

وفي أفراد البخاري ، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن لله عز وجل أهلين من الناس ، قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله[1] وخاصته » رواه النسائي .

وفي حديث آخر ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يعذب الله قلباً وعى القرآن[2] » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن : إقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها » صححه الترمذي .

وعن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : ما أعرفك ، فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر[3] وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإني لك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطي الملك[4] بيمينه ، والخلد[5] بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والده

---

(١) أي حفظة القرآن العاملون به ، هم اولياء الله تعالى والمختصون به اختصاص أهل الانسان ، وليس من أهله من حفظ لفظه وضيع حدوده « قسطلاني » .

(٢) لا يصح .

(٣) الهجر بالفتح والهجير : نصف النهار عند اشتداد الحر .

(٤) يريد القدرة والتصرف .

(٥) الدوام والخلود .

حلتين لا تقوم لهما الدنيا ، فيقولان : بما كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال : إقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود ما كان يقرأ ، هذّاً كان[1] أو ترتيلا[2] » .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون ، وبنهاره إذ الناس مفطرون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبصمته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون .

ولا ينبغي أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخاباً[3] ولا حديداً .

وقال الفضيل رحمه الله : حامل القرآن حامل راية الاسلام ، لا ينبغي أن يلغو مع من يلغو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلهو مع من يلهو ، تعظيماً لله تعالى .

ولا ينبغي أن يكون له إلى أحد حاجة ، بل ينبغي أن تكون حوائج الناس إليه .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : رأيت رب العزة في المنام ، فقلت : يا رب ، ما أقرب ما يتقرب به إليك المتقربون ؟ فقال : بكلامي يا أحمد ، فقلت : يا رب بفهم أو بغير فهم ؟ فقال : بفهم وبغير فهم .

فصل في آداب التلاوة

ينبغي لقارىء القرآن أن يكون على وضوء ، مستعملا للأدب ، مطرقاً غير متربع ولا متكىء ، ولا جالس على هيئة المتكبر[4] .

وأفضل الأحوال : أن يقرأ في الصلاة قائماً ، وأن يكون في المسجد .

فأما مقدار القراءة ، فقد اختلفت فيها عادات السلف ، فمنهم من كان يختم كل يوم وليلة ختمة ، ومنهم من كان يختم في اليوم والليلة أكثر من ذلك ، ومنهم من كان يختم

---

(١) أي بسرعة .

(٢) أخرجه احمد ٥/ ٣٤٨ ، والدارمي ٢/ ٤٥٠ ، ٤٥١ من حديث أبي نعيم ، ثنا بشير بن المهاجر ، حدثني عبد الله بن بريدة ، عن أبيه بريدة . وبشر بن المهاجر لين الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به ، وباقي رجاله ثقات .

(٣) الصخب : شدة الصوت ، والحديد : شديد الغضب .

(٤) ومن آدابه أن يكون على أكمل الاحوال واكرم الشمائل ، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه اجلالاً للقرآن وأن يكون مصوناً عن الاكساب ، شريف النفس ، مترفعاً عن الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا متواضعاً للصالحين وأهل الخير والمساكين ، وأن يكون متخشعاً ذا سكينة « تبيان » .

في ثلاث ختمة ، ومنهم من كان يختم في كل أسبوع ، ومنهم من كان يختم في كل شهر ، اشتغالا بالتدبر أو بنشر العلم ، أو بتعليمه ، أو بنوع من التعبد غير القراءة ، أو بغيره من اكتساب الدنيا .

وأولى الأمر : مالا يمنع الانسان من أشغاله المهمة ، ولا يؤذيه في بدنه ، ولا يفوته معه الترتيل والفهم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لإن أقرأ البقرة وآل عمران ، وأرتلهما وأتدبرهما أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة[1] ، ومن وجد خلسة في وقت ، فليغتنم كثرة القراءة ليفوز بكثرة الثواب ، فقد كان عثمان رضي الله عنه يقرأ القرآن في ركعة يوتر بها ، وكان الشافعي رحمه الله يختم في رمضان ستين ختمة .

وأما الدوام : فليكن على قدر الامكان ، كما أشرنا اليه .

واستحب بعضهم إذا ختم بالنهار أن يختم في ركعتي الفجر أو بعدهما ، وإذا ختم بالليل أن يختم في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل بالختمة أول الليل وأول النهار .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من ختم القرآن فله دعوة مستجابة .
وكان أنس رضي الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا .

فصل [في تحسين الصوت]

ويستحب تحسين القراءة ، واذا لم يكن حسن الصوت حسنه ما استطاع ، فأما القراءة بالألحان ، فقد كرهها السلف .

ويستحب الإسرار بالقراءة . وقد جاء في الحديث : « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية »[2] ، إلا أنه ينبغي أن يسمع نفسه .

ولا بأس بالجهر في بعض الأوقات لمقصود صحيح ، إما لتجويد الحفظ ، أو

---

(١) الهذرمة : السرعة في القراءة والكلام .

(٢) لم يرد بهذا اللفظ ، وهو في معنى الحديث الصحيح « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » أخرجه أبو داود (١٣٣٣) والترمذي (٢٩٢٠) من حديث عقبة بن عامر ، واسناده صحيح ، فإن اسماعيل ابن عياش رواه عن بحير بن سعد الحمصي وهو من أهل بلده وروايته عنهم مستقيمة .

ليصرف عن نفسه الكسل والنوم ، أو ليوقظ الوسنان[1] .

فأما حكم القراءة في الصلاة ، ومقدار ما يقرأ في صلاة الفرض ، وموضع الجهر والإسرار فذلك معروف مشهور في كتب الفقه .

ومن كان عنده مصحف ينبغي له أن يقرأ فيه كل يوم آيات يسيرة لئلا يكون مهجوراً .

وينبغي لتالي القرآن العظيم أن ينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهامهم ، وأن يعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر ، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه ، فان التدبر هو المقصود من القراءة ، وإن لم يحصل التدبر إلا بترداد الآية ، فليرددها ، فقد روى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قام ليلة بآية يرددها ﴿إن تُعَذبهُمْ فَانهُم عبَادُكَ﴾ الآية [المائدة : ١١٨] وقام تميم الداري رضي الله عنه بآية وهي قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية : ٢١] وكذلك قام بها الربيع بن خيثم رحمة الله عليه ليلة .

وينبغي للتالي أن يستوضح من كل آية ما يليق بها ، ويتفهم ذلك ، فاذا تلا قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [الأنعام : ١] فليعلم عظمته ويتلمح قدرته في كل ما يراه .

واذا تلا : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة : ٥٨] فليتفكر في نطفة متشابهة الأجزاء ، كيف تنقسم الى لحم وعظم ، وعرق وعصب ، وأشكال مختلفة من رأس ويد ، ورجل ، ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة كالسمع ، والبصر ، والعقل ، وغير ذلك ، فيتأمل هذه العجائب .

وإذا تلا أحوال المكذبين فليستشعر الخوف من السطوة إن غفل عن امتثال الأمر .

وليتخلى التالي من موانع الفهم ، مثل أن يخيل الشيطان إليه أنه ما حقق تلاوة الحرف ولا أخرجه من مخرجه ، فيكرره التالي ، فيصرف همته عن فهم المعنى .

ومن ذلك أن يكون التالي مصراً على ذنب ، أو متصفاً بكبر ، أو مبتلى بهوى

---

(١) الوسن : النعاس ، والوسنان : كثير النعاس .

مطاع ، فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه ، فهو كالجرب على المرآة ، يمنع من تجلي الحق ، فالقلب مثل المرآة ، والشهوات مثل الصدإ ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة ، والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل الجلاء للمرآة .

وينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه مقصود بخطاب القرآن ووعيده ، وأن القصص لم يرد بها السمر[1] بل العبر ، فليتنبه لذلك ، فحينئذ يتلو تلاوة عبد كاتبه سيده بمقصود . وليتأمل الكتاب ويعمل بمقتضاه ، فان مثل العاصي اذا قرأ القرآن وكرره ، كمثل من كرر كتاب الملك وأعرض عن عمارة مملكته وما أمر به في الكتاب فهو مقتصر على دراسته ، مخالف أوامره ، فلو ترك الدراسة مع المخالفة كان أبعد من الاستهزاء واستحقاق المقت .

وينبغي أن يتبرأ من حوله وقوته ، وأن لا يلتفت إلى نفسه بعين الرضى والتزكية ، فإن من رأى نفسه بصورة التقصير ، كان ذلك سبب قربه .

* * *

(١) أي الحديث والخبر .

كتاب الأذكار والدعوات وغيرها

اعلم : أنه ليس بعد تلاوة القرآن عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله سبحانه وتعالى ، ورفع الحوائج بالأدعية الخالصة إليه تعالى ، ويدل على فضل الذكر قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم ﴾ [البقرة : ١٥٢] وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾[1] [آل عمران : ١٩٠] وقوله ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ [الاحزاب : ٣٥] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه » .

وفي أفراد مسلم عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة[2] وذكرهم الله فيمن عنده[3] »وفي ذلك أحاديث كثيرة مذكورة في فضائل الأعمال .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ماجلس قوم مجلساً فتفرقوا على غير ذكر الله عز وجل ، إلا تفرقوا عن مثل جيفة الحمار ، وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة » .

وفي حديث آخر . « لا يجلس قوم مجلساً لا يذكرون الله عز وجل ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة » .

وأما فضيلة الدعاء : فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء » و « أشرف

---

(١) قال ابن الجوزي في تفسير « زاد المسير » ١/ ٥٢٧ بتحقيقنا طبع المكتب الاسلامي بدمشق : قوله تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ في هذا الذكر ثلاثة أقوال :

أحدها : انه الذكر في الصلاة يصلي قائماً ، فإن لم يستطع فقاعداً ، فإن لم يستطع فعلى جنب ، هذا قول علي وابن مسعود وابن عباس وقتادة .

الثاني : أنه الذكر في الصلاة وغيرها ، وهو قول طائفة من المفسرين .

الثالث : انه الخوف ، فالمعنى : يخافون الله قياماً في تصرفهم ، وقعوداً في دعتهم ، وعلى جنوبهم في قيامهم .

وتبين من هذا أن الآية ليس فيها مستدل لمن يجوز الرقص في حلقات الذكر .

(٢) السكينة : الوقار .

(٣) يعني الملائكة المقربين : والمراد من العندية : الرتبة .

العبادة الدعاء[1] » و « من لا يسأل الله يغضب عليه » . وفي حديث آخر : « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل » .

وللدعاء آداب : من ذلك أن يتحرى الأوقات الشريفة ، كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الشهور ، والجمعة من الأسبوع ، والسحر من الليل .

ومن الأوقات الشريفة بين الأذان والاقامة ، وعقيب الصلوات ، وعند نزول الغيث ، وعند القتال في سبيل الله ، وعند ختم القرآن ،وفي السجود، وعند الإفطار ، وعند حضور القلب ووجله .

وعلى الحقيقة فإن شرف الأوقات يرجع إلى شرف الحالات ، فإن وقت السحر وقت صفاء القلب وفراغه ، وحانة السجود حالة الذل .

ومن آداب الدعاء أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه ثم يمسح بهما وجهه ، وأن يخفض صوته حال الدعاء .

ومن آدابه أن يبدأ بذكر الله عز وجل ، ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، ولا يتكلف السجع في الدعاء .

ومن آدابه وهو الأدب الباطن ـ وهو الأصل في الإجابة ـ التوبة ورد المظالم .

فصل في الأوراد وفضلها وتوزيع العبادات على مقادير الأوقات

اعلم : أنه إذا حصلت المعرفة لله سبحانه والتصديق بوعده ، والعلم بقصر العمر ، وجب ترك التقصير في هذا العمر القصير ، والنفس متى وقفت على فن واحد حصل لها ملل ، فمن التلطف نقلها من فن إلى فن ، وقد قال الله تعالى :﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً*وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾[الإنسان : ٢٥ ـ ٢٦] ، فهذا ونحوه مما ذكر من الآيات في ذلك يدل على أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على الدوام ، وقال الله تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

---

(١) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٧١٣) ورجاله ثقات ألا أن فيه عنعنة الحسن .

خلْفَةً لمَن أَرادَ أَن يَذكَّرَ أو أَرادَ شُكُورَاً﴾[الفرقان : ٦٢] ، أي يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات في الآخر .

بيان عدد أوراد الليل والنهار وترتيبها

أوراد النهار سبعة ، وأوراد الليل ستة ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به .

الورد الأول من أوراد النهار : ما بين طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس ، وهو وقت شريف ، وقد أقسم الله تعالى به فقال : ﴿وَالصُّبحِ إِذَا تَنفَّسَ﴾ [التكوير : ١٨] .

فينبغي للمريد إذا انتبه من النوم أن يذكر الله سبحانه وتعالى فيقول : « الحمد الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » . روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أفراد البخاري .

وفي أفراد مسلم ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه تعالى وآله وسلم إذا أمسى قال : « أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها ، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر ، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر » .

وإذا أصبح قال ذلك أيضاً : « أصبحنا وأصبح الملك لله . . . » إلى آخره ، ويقول : « بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم » ثلاث مرات ، « رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً ورسولاً » .

فإذا صلى الفجر قال وهو ثان رجله قبل أن يتكلم : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير » عشر مرات .

ويذكر سيد الاستغفار : « اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ،

وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك[1] بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

ويقول : « أصبحنا على فطرة الاسلام ، وكلمة الاخلاص ، ودين نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وملة أبينا إبراهيم حنيفاً[2] مسلماً ، وما كان من المشركين » .

ويدعو « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر » .

ويدعو بدعاء أبي الدرداء : « اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، عليك توكلت ، وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً . اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم » .

فهذه الأدعية لا يستغني المريد عن حفظها .

وينبغي له قبل خروجه إلى صلاة الفجر أن يصلي السنة في منزله ثم يخرج متوجهاً إلى المسجد ويقول : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا ، فإني لم أخرج أشراً[3] ولا بطراً ، ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذني من النار ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت[4] » .

فإذا دخل المسجد فليقل ما روى مسلم في « صحيحه » أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم ليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : « اللهم إني أسألك من فضلك » ، ثم يطلب الصف الأول منتظراً للجماعة داعياً بنحو ما تقدم من الأذكار والأدعية .

---

(١) أي اعترف لك .

(٢) أي : مائلا من جميع الأديان إلى الاسلام .

(٣) أي : بطراً .

(٤) اسناده ضعيف من أجل عطية بن سعد العوفي ، فقد ضعفه غير واحد من الأئمة ، وهو في «سنن ابن ماجه » (٧٧٨) و « مسند احمد » ٣/ ٢١ من حديث أبي سعيد الخدري .

فإذا صلى الفجر استحب أن يمكث في مكانه إلى طلوع الشمس .

فقد روى أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من صلى الفجر في جماعة ، ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين ، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة »[1] .

وليكن وظائف وقته أربعاً : الدعاء ، والذكر ، والقراءة ، والفكر .

وليأت بما أمكنه ، وليتفكر في قطع القواطع ، وشغل الشواغل عن الخير ليؤدي وظائف يومه ، وليتفكر في نعم الله تعالى ليتوفر شكره .

الورد الثاني : ما بين طلوع الشمس الى الضحى ، وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار ، إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة ، وهو الربع ، وهذا وقت شريف، وفيه وظيفتان : إحداهما : صلاة الضحى[2] .

والثانية : ما يتعلق بالناس من عيادة مريض ، أو تشييع جنازة ، أو حضور مجلس علم ، أو قضاء حاجة مسلم . وإن لم يفعل شيئاً من ذلك تشاغل بالقراءة والذكر ،

الورد الثالث : من وقت الضحى الى الزوال ، والوظيفة في هذا الوقت ، الأقسام الأربعة ، وزيادة أمرين :

أحدهما : الاشتغال بالكسب والمعاش ، وحضور السوق ، فإن كان تاجراً فليتجر بصدق وأمانة ، وإن كان صاحب صنعة ، فليصنع بنصيحة وشفقة ، ولا ينس ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ، وليقنع بالقليل .

---

(١) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

(٢) قال الغزالي في « الاحياء » : فالمواظبة عليها من عزائم الافعال وفواضلها ، أما عدد ركعاتها ، فأكثرها ما نقل فيه ثمان ركعات ، روت أم هانىء أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى الضحى ثمان ركعات أطالهن وحسنهن ، ولم ينقل هذا القدر غيرها ، فأما عائشة رضي الله عنها ، فانها ذكرت أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله ، فلم تحد الزيادة أي أنه كان يواظب على الأربعة لا ينقص عنها وقد يزيد زيادات ، وروي في حديث مفرد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات ، وأما وقتها فقد روى علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي الضحى ستاً في وقتين إذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثاني من أوراد النهار كما سيأتي ، وإذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعاً فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني إذا مضى من النهار ربعه يأتي صلاة العصر ، فإن وقته أن يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ، ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال ، كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب . وهذا أفضل الاوقات ، ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة .

والثاني : القيلولة ، فإنها مما تعين على قيام الليل ، كما يعين السحور على صيام النهار ، فإن نام فليجتهد في الانتباه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة قبل دخول الوقت .

واعلم : أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فالاعتدال أن ينام من ذلك الثلث ، وهو ثمان ساعات ، فمن نام أقل من ذلك لم يأمن اضطراب بدنه ، ومن نام أكثر من ذلك كثر كسله ، فاذا نام أكثر من ذلك في الليل فلا وجه لنومه في النهار ، بل من نقص منه استوفى ما نقص في النهار .

الورد الرابع : ما بين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر ، وهو أقصر أوراد النهار وأفضلها ، فينبغي له في هذا الوقت إذا أذن المؤذن أن يجيبه بمثل قوله ، ثم يقوم فيصلي أربع ركعات ، ويستحب أن يطيلهن ، فإن أبواب السماء تفتح حينئذ ، ثم يصلي الظهر وسنتها ، ثم يتطوع بعدها بأربع .

الورد الخامس : ما بعد ذلك الى العصر ، فيستحب له في هذا الوقت الاشتغال بالذكر ، والصلاة ، وفنون الخير ، ومن أفضل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة .

الورد السادس : إذا دخل وقت العصر الى أن تصفر الشمس ، وليس في هذا الوقت صلاة سوى أربع ركعات بين الأذانين ، ثم فرض العصر ، ثم يتشاغل بالأقسام الأربعة التي سبق ذكرها في الورد الأول ، والأفضل فيه تلاوة القرآن بالتدبر والتفهم .

الورد السابع : من اصفرار الشمس الى أن تغرب ، وهو وقت شريف . قال الحسن البصري رحمه الله : كانوا أشد تعظيماً للعشي من أول النهار ، فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة .

وبالمغرب تنتهي أوراد النهار فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه ، فقد انقضت من طريقه مرحلة . وليعلم ان العمر أيام تنقضي جملتها بانقضاء آحادها .

قال الحسن : يا ابن آدم ، إنما أنت أيام ، إذا مضى يومك مضى بعضك . وليتفكر هل ساوى يومه أمسه ، فإن رأى أنه قد توفر على الخير في نهاره ، فليشكر الله سبحانه وتعالى على التوفيق ، فإن تكن الأخرى ، فليتب وليعزم على تلافي ما سبق من التفريط في الليل ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وليشكر الله تعالى على صحة جسمه ، وبقاء بقية من عمره يمكن فيها استدراك التقصير ، وقد كان جماعة من السلف يستحبون أن لا ينقضي يوم إلا عن صدقة ، ويجتهدون فيما أمكن من كل خير .

ذكر أوراد الليل

الورد الأول : إذا غربت الشمس إلى وقت العشاء ، فإذا غربت صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشاءين ، فقد روي عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُم عنِ المضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُم خَوْفاً وَطَمَعاً وَممَّا رَزَقْناهُم يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة : ١٦] . أن هذه الآية نزلت في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كانوا يصلون بين المغرب والعشاء .

وعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من صلى بعد المغرب ست ركعات ولم يتكلم فيما بينهن بسوء ، عدلن له بعبادة اثنتي عشرة سنة » . رواه الترمذي[١] .

الورد الثاني : من غيبوبة الشفق الأحمر إلى وقت النوم ، يستحب أن يصلي بين الأذانين ما أمكنه ، وليكن في قراءته : ﴿ آلم تَنْزِيلُ الكتابِ ﴾ [السجدة : ١] و﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ ﴾ [تبارك : ١] . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام حتى يقرأهما .

وفي حديث آخر ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة »[٢] .

الورد الثالث : الوتر قبل النوم ، إلا من كان عادته القيام بالليل ، فإن تأخيره في حقه أفضل ، قالت عائشة رضي الله عنها : من كل الليل قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من أول الليل ، وأوسطه ، وآخره ، فانتهى وتره إلى السحر . متفق عليه ، ثم ليقل بعد الوتر : « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات .

الورد الرابع : النوم ، وإنما عددناه من الأوراد ، لأنه إذا روعيت آدابه وحسن

---

(١) رقم (٤٣٥) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث زيد بن حباب عن عمر بن أبي خثعم ، وسمعت محمد ابن اسماعيل البخاري يقول : عمر بن عبد الله ابن أبي خثعم منكر الحديث وضعفه جداً .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الايمان » وفي سنده أبو شجاع ، قال الذهبي في « الميزان » : نكرة لا يعرف ، ثم أورد هذا الخبر من حديثه عن ابن مسعود ، قال ابن الجوزي في « العلل » قال احمد : هذا حديث منكر ، وقال الزيلعي تبعاً لجمع : هو معلول من وجوه ، أحدها : الانقطاع كما بينه الدارقطني وغيره ، الثاني نكارة متنه ، كما ذكره أحمد ، الثالث : ضعف رواته كما قال ابن الجوزي ، الرابع : اضطرابه وقد أجمع على ضعفه أحمد ، وأبو حاتم ، وابنه ، والدارقطني ، والبيهقي وغيرهم .

obeikandi.com

المقصود به احتسب عبادة . وقد قال معاذ رضي الله عنه : إني لأحتسب في نومتي كما أحتسب في قومتي .

فمن آداب النوم : أن ينام على طهارة ، لما روت عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد أن ينام يتوضأ وضوءه للصلاة .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : إن الأرواح يعرج بها في منامها إلى السماء فتؤمر بالسجود عند العرش ، فما كان منها طاهراً سجد عند العرش ، وما كان ليس بطاهر سجد بعيداً عن العرش .

ومن آدابهأن يتوب قبل نومه ، لأنه ينبغي لمن طهر ظاهره أن يطهر باطنه ، لأنه ربما مات في نومه .

ومنها : أن يزيل كل غش في قلبه لمسلم ، ولا ينوي ظلمه ، ولا يعزم على خطيئة إذا استيقظ .

ومنها : أن لا يبيت من له شيء يوصي به إلا ووصيته مكتوبة عنده ، لأن في « الصحيحين » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه ، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » .

وينبغي له أيضاً أن لا يبالغ في تمهيد الفراش متنعماً بذلك ، فإنه يزيد في النوم ، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثني له فراشه فقال : « منعتني وطأته صلاتي الليلة » .

وينبغي أن لا ينام حتى يغلبه النوم ، فقد كان السلف لا ينامون إلا غلبة .

ومن آدابه أن يستقبل القبلة وأن يدعو بما ورد من الأحاديث في ذلك ، أن ينام على جنبه الأيمن ، فمما جاء في ذلك ما روى أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما حدث بعده » .

فإذا وضع جنبه فليقل : « باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت

نفسي فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها[1] بما تحفظ به عبادك الصالحين » أخرجاه في « الصحيحين » .

وفي « الصحيحين » أيضاً ، من حديث عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة ، جمع كفيه ثم نفخ فيهما وقرأ فيهما : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات .

وفيهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك الا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت ، فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة ، وإن أصبحت أصبت خيراً » .

وعن علي رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له ولفاطمة : « إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما ، فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين ، واحمداه ثلاثاً وثلاثين ، وكبراه أربعاً وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم » متفق عليه .

وحديث أبي هريرة في حفظ زكاة رمضان مشهور ، وفيه أن شيطاناً قال له : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان . فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « أما إنه قد صدقك وهو كذوب » .

وفي أفراد مسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوي » .

فإذا استيقظ للتهجد ، فليدع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم ربنا لك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ،

---

(١) هذه اشارة الى قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى ﴾ .

والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما اسررت وما أعلنت » وفي رواية : « وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت » متفق عليه .

وليجتهد ان يكون آخر كلامه عند النوم ذكر الله تعالى ، وأول ما يجري على لسانه عند التيقظ ذكر الله تعالى ، فهاتان علامتان على الايمان .

الورد الخامس من أوراد الليل : يدخل بمضي النصف الأول إلى أن يبقى من الليل سدسه ، وذلك وقت شريف . قال أبو ذر رضي الله عنه : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أي صلاة الليل أفضل ؟ فقال : « نصف الليل أو جوف الليل ، وقليل فاعله[1] » .

وروي أن داود عليه السلام قال : يا رب ، أية ساعة أقوم لك ؟ فأوحى الله تعالى إليه : يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره ، ولكن قم في شطر الليل حتى تخلو بي وأخلو بك ، وارفع إليَّ حوائجك .

فإذا قام إلى التهجد ، قرأ العشر آيات من آخر سورة ﴿آل عمران﴾ ، كما روي في « الصحيحين » أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعل ذلك ، وليدع بما سبق من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم عند قيامه من الليل ، ثم يستفتح صلاته بركعتين خفيفتين ، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا قام أحدكم يصلي بالليل ، فليبدأ بركعتين خفيفتين » رواه مسلم ، ثم يصلي مثنى مثنى ، وأكثر ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة مع الوتر ، وأقلهن سبع .

الورد السادس من الليل : السدس الأخير وهو وقت السحر ، قال الله تعالى : ﴿ وبِالأَسْحَارِ هُم يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[الذاريات : ١٨] .

---

(١) أخرجه حميد بن زنجويه ، ومحمد بن نصر المروزي في « قيام الليل » ص ٣٥ ، وفي سنده ابو مسلم الجذمي لم يوثقه غير ابن حبان ، لكن يتقوى بما روى الجماعة إلا البخاري من حديث أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل ؟ قال : « الصلاة في جوف الليل » وبما روى الترمذي (٣٥٧٩) وغيره من حديث عمرو بن عبسة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الأخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن » وسنده حسن ، وصححه الترمذي وابن خزيمة .

وفي الحديث : إن قراءة الرجل آخر الليل محضورة .

وجاء طاووس الى رجل وقت السحر فقالوا : هو نائم ، فقال : ما كنت أرى أن أحداً ينام وقت السحر .

فإذا فرغ المريد من صلاة السحر ، فليستغفر الله عز وجل . وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يفعل ذلك .

فصل في اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال

اعلم : أن السالك لطريق الآخرة لا يخلو من ستة أحوال : إما ان يكون عابداً ، أو عالماً ، أومتعلماً ، أو والياً ، أو محترفاً ، أو مستغرقا بمحبة الله عز وجل مشغولا به عن غيره .

الأول : **العابد** : وهو المنقطع عن الأشغال كلها إلى التعبد ، فهذا يستعمل ما ذكرنا من الأوراد ، وقد تختلف وظائفه ، فقد كانت أحوال المتعبدين من السلف مختلفة ، فمنهم من كان يغلب على حاله التلاوة ، حتى يختم في يوم ختمة ، أو ختمتين ، أو ثلاثاً ، وكان فيهم من يكثر التسبيح ، ومنهم من يكثر الصلاة ، ومنهم من يكثر الطواف بالبيت .

فإن قيل : فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد ؟

فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائماً مع التدبر يجمع الجميع ، ولكن ربما عسرت المواظبة على ذلك ، والأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ، ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره ، فلينظر المريد ما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه ، فإذا أحس بملل انتقل عنه إلى غيره .

قال أبو سليمان الداراني : فاذا وجدت قلبك في القيام فلا تركع ، وإذا وجدته في الركوع فلا ترفع .

الثاني : **العالم** : الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى ، أو تدريس ، أو تصنيف ، أو تذكير ، فترتيبه في الأوراد يخالف ترتيب العابد فإنه يحتاج إلى المطالعة في الكتب ، والتصنيف والإفادة ، فان استغرق الأوقات في ذلك ، فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ، وإنما نعني بالعلم المقدم على العبادة الذي يرغب في الآخرة ، ويعين على

سلوك طريقها ، والأولى بالعالم أيضاً أن يقسم أوقاته ، لأن استغراق الأوقات في العلم لا تصبر عليه النفس ، فينبغي أن يخص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد على ما ذكرنا ، ثم ما بعد طلوع الشمس إلى الضحى في الإفادة والتعليم ، فإن لم يكن عنده من يتعلم ، صرف ذلك الزمان الى التفكير في العلوم ، فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ، ثم من ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة ، لا يترك ذلك إلا في وقت أكل ، أو طهارة ، أو مكتوبة ، أو قيلولة ، ومن العصر إلى اصفرار الشمس بسماع ما يقرأ عليه من تفسير ، أو حديث ، أو علم نافع ، ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح ، فيكون ورده الأول من عمل اللسان ، والثاني في عمل القلب بالتفكير ، والثالث في عمل العين واليد والمطالعة والنسخ ، والرابع بعد العصر في عمل السمع لتروح العين واليد ، فان المطالعة والنسخ بعد العصر ربما أضرا بالعين .

وأما الليل : فأحسن قسمة فيه قسمة الشافعي رحمه الله ، فانه كان يقسمه ثلاثة أجزاء : الثلث الأول لكتابة العلم ، والثاني للصلاة ، والثالث للنوم ، فأما الصيف ، فربما لا يحتمل ذلك ، إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار .

الثالث : حال المتعلم : فإن التعلم أفضل من التشاغل بالأذكار والنوافل ، وحكم المتعلم حكم العالم في ترتيب الأوراد ، لكنه يشتغل بالاستفادة حين يشتغل العالم بالافادة ، وبالتعليق والنسخ حين يشتغل العالم بالتصنيف ، فإن كان من العوام كان حضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ أفضل من اشتغاله بالأوراد المتطوع بها .

الرابع : الوالي : مثل الإمام ، والقاضي ، أو المتولي للنظر في أمور المسلمين ، فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة ، لأنه عبادة يتعدى نفعها ، فينبغي أن يقتصر في النهار على المكتوبات ، ثم يستفرغ باقي الزمان في ذلك ، ويقنع بأوراد الليل .

الخامس : المحترف : وهو محتاج إلى الكسب له أو لعياله ، فليس له أن يستغرق الزمان في التعبد ، بل يجتهد في الكسب مع دوام الذكر ، فإذا حصل له ما يكفيه عاود الأوراد .

السادس : المستغرق بمحبة الله سبحانه : فهذا ورده بعد المكتوبات حضور القلب مع الله تعالى ، وهو يحركه إلى ما يريد من ورده .

وينبغي أن يداوم على الأوراد ، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أحب العمل الى الله تعالى أدومه وان قل » . وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمله ديمة .

باب في قيام الليل وفضله والأسباب الميسرة لقيامه ونحو ذلك

قال الله تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾[السجدة : ١٦] .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « عليكم بقيام الليل ، فانه دأب الصالحين قبلكم ، وهو قربة إلى ربكم ، ومغفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم » وفي فضله أحاديث كثيرة .

وقال الحسن البصري رحمه الله : لم أجد من العبادة شيئاً أشد من الصلاة في جوف الليل ، فقيل له : ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهاً ؟ فقال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره .

فصل في الأسباب الميسرة لقيام الليل

اعلم : أن قيام الليل صعب إلا من وفق للقيام بشروطه الميسرة له .
فمن الأسباب ظاهر ، ومنها باطن .
فأما الظاهر : فأن لا يكثر الأكل ، كان بعضهم يقول : يا معشر المريدين ، لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فتناموا كثيراً ، فتخسروا كثيراً .

ومنها : أن لا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال الشاقة .
ومنها : أن لا يترك القيلولة بالنهار ، فانها تعين على قيام الليل .
ومنها أن يجتنب الأوزار .
قال الثوري : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته .

وأما الميسرات الباطنة :
فمنها سلامة القلب للمسلمين ، وخلوه من البدع ، وإعراضه عن فضول الدنيا .
ومنها : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل .
ومنها : أن يعرف فضل قيام الليل .

ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى ، وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجى ربه ، وأنه حاضره ومشاهده ، فتحمله المناجاة على طول القيام .

قال أبو سليمان رحمه الله: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا .

وفي « صحيح مسلم » عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا آتاه إياه ، وذلك كل ليلة » .

وإحياء الليل مراتب :

أحدها : أن يحيي الليل كله ، روي ذلك عن جماعة من السلف .

الثانية : أن يقوم نصف الليل ، وهو مروي أيضاً عن جماعة من السلف وأحسن الطريق في هذا أن ينام الثلث الأول من الليل ، والسدس الأخير منه .

المرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل ، فينبغي أن ينام النصف الأول ، والسدس الأخير ، وهو قيام داود عليه السلام .

ففي « الصحيحين » : « أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه » ، ونوم آخر الليل حسن ، لأنه يذهب بآثار النعاس من الوجه بالغداة ، ويقلل صفرته .

المرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسه ، والأفضل من ذلك ما كان في النصف الأخير ، وبعضهم يقول : أفضله السدس الأخير .

المرتبة الخامسة : أن لا يراعي التقدير ، فان مراعاة ذلك صعب .

ثم فيما يفعله طريقان :

أحدهما : أن يقوم أول الليل إلى أن يغلبه النوم فينام ، فاذا انتبه قام ، فاذا غلبه النوم نام ، وهذا من أشد المكابدة ، وهو طريق جماعة من السلف .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه : ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصلياً من الليل إلا رأيناه ، وما كنا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه . وكان عمر رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء الله ، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله ، فيقول : الصلاة الصلاة .

وقال الضحاك : أدركت أقواماً يستحيُون من الله في سواد هذا الليل من طول الضجعة .

الطريق الثاني : أن ينام أول الليل ، فاذا أخذ حظه من النوم ، وانتبه ، قام الباقي .

قال سفيان الثوري : إنما هي أول نومة ، فاذا انتبهت لم أقلها . ـ يعني : لم ينم ـ .

المرتبة السادسة : أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين ، فقد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « صلوا من الليل ، صلوا أربعاً ، صلوا ركعتين »[1] . . . الحديث .

وفي « سنن أبي داود » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا جميعاً ركعتين ، كتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » . وكان طلحة بن مصرف يأمر أهله بقيام الليل ، ويقول : صلوا ركعتين ، فان الصلاة في جوف الليل تحط الأوزار .

فهذه طرق قسمة الليل ، فليتخير المريد لنفسه ما يسهل عليه ، فان صعب القيام عليه في وسط الليل ، فلا ينبغي أن يخل بإحياء ما بين العشاءين وورد السَّحر ، ليكون قائماً في الطرفين ، وهذه مرتبة سابعة .

فصل [فيمن صعبت عليه الطهارة في الليل]

فأما من صعبت عليه الطهارة في الليل ، وثقلت عليه الصلاة ،فليجلس مستقبل القبلة ، وليذكر الله تعالى ، وليدع مهما قدر . فان لم يجلس فليدع وهو مضطجع ، ومن كان له ورد فغلبه النوم وفاته ، فليأت به بعد صلاة الضحى . فقد ورد ذلك في الحديث .

وليحذر من له عادة بقيام الليل أن يتركها ، ففي « الصحيحين » أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعبد الله بن عمرو : « لا تكن مثل فلان ، كان يقوم الليل فترك قيام الليل » .

---

(١) إسناده ضعيف رواه البيهقي في « شعب الايمان » وابن نصر في قيام الليل عن الحسن مرسلاً .

فصل في بيان الليالي والأيام الفاضلة

أما الليالي المخصوصات بمزيد الفضل التي يستحب إحياؤها ، فخمس عشرة ليلة ولا ينبغي للمريد أن يغفل عنهن ، لأنه إذا غفل التاجر عن موسم الربح فمتى يربح ؟! فمن هذه الليالي سبع في رمضان : الليلة السابعة عشرة ، وهي التي كانت صبيحتها وقعة بدر ، والست الباقية هن أوتار العشر [الأخير] ، إذ فيهن تطلب ليلة القدر وأما الثمان الأخر : فأول ليلة من المحرم ، وليلة عاشوراء ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف منه ، وليلة سبع وعشرين منه فانها ليلة المعراج ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة عرفة ، وليلتا العيدين[1] . وقد ورد صلوات لبعض هذه الليالي وليس فيها ما يثبت .

وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يوماً : يوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، ويوم سبع وعشرين من رجب ، وهو أول يوم هبط فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويوم سبع عشرة من رمضان كان فيه وقعة بدر ، ويوم النصف من شعبان ، ويوم الجمعة ، ويوما العيدين ، والأيام المعلومات وهي عشر ذي الحجة ، والأيام المعدودات وهي أيام التشريق .

ومن فواضل الايام في الاسبوع : يوم الاثنين ، والخميس ، وأيام البيض . وفيها فضل كبير مذكور في فضائل الصوم

آخر كتاب الأوراد ، وهو آخر ربع العبادات ، وبالله التوفيق .

---

(١) لم يثبت في احياء ليلة من الليالي حديث صحيح إلا العشر الأخير من رمضان الذي فيه ليلة القدر .

obeikandl.com